العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية

نظرية

المسرح الحسيني

الأديب رضا الخفاجي

قسم الشؤون الفكرية والثقافية/ شعبة الإعلام/ وحدة الدراسات

كربلاء المقدسة/ ص.ب (٢٣٣)/ هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: نظرية المسرح الحسيني.

الكاتب: الأديب رضا الخفاجي.

الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية.في العتبة العباسية المقدسة.

الإخراج الطباعي والتصميم: نوار الحسيني/ رائد الأسدي.

المطبعة: دار الضياء-النجف الأشرف.

الطبعة: الأولى.

عدد النسخ: ١٠٠٠.

ربيع الثاني ١٤٣٠هـ / نيسان ٢٠٠٩

تمهيد

دأب النظام الدكتاتوري السابق على محاربة جميع الأفكار والمعتقدات التي لا تتوافق مع منظومته الفكرية المتخلفة ذات الطابع الدموي الاستبدادي، شأنه في ذلك شأن أي نظام فاشي لا يؤمن بمن يختلف معه أو يعارضه.

وقد نجح ذلك النظام – مع شديد الأسف – في فرض هيمنته وإشاعة الرعب في المجتمع العراقي، واستطاع شراء ذمم الكثيرين من

ضعاف النفوس ومن الانتهازيين والمنافقين، الذين – ينعقون مع كل ناعق – كما وصفهم الإمام علي﵇ ومن شرائح المجتمع كافة ومن مختلف الاختصاصات.بحيث استطاع أن يكوِّن جيشاً كبيراً من المرتزقة الدجالين الذين كانوا يطبلون له صباحَ مساء كلِّ يوم.

وقد ساعده في ذلك النجاح، طول فترة حكمه المفروض على الشعب نتيجة لمصالح دولية حتمت الإبقاء على ذلك النظام، بل ساعدته على ترسيخ مكانته الدولية من أجل تحقيق مطامعها ومآربها في هذه المنطقة الحيوية من العالم، حيث كان السيف الدموي الجاهز على طول الخط لقتل جميع تطلعات شعوب المنطقة وفي مقدمتها الشعب العراقي الباسل المؤمن بقيم السماء الخالدة، حيث أستعمل أبشع أنواع القتل والإرهاب ضد هذا الشعب الباسل – فكانت إنجازاته الباهرة ..شن الحروب في الداخل والخارج، ودفن الناس في مقابر جماعية وهم أحياء...

ونتيجة لذلك التصرف الهمجي المتخلف، رضخ الكثيرون للأمر الواقع، وسافر آخرون خارج البلد هرباً من البطش والظلم الذي لا يطاق ..بينما ألتزم فريق ثالث بالصمت الرافض!

إزاء كل ذلك ما عسانا أن نفعل غير إستفزاز أصالتنا وإستنفار طاقاتنا والرجوع إلى منابعنا الأصلية وحضارتنا الإسلامية الخلاّقة – وأنَّ خير من يمثل هذا الاتجاه المبارك، هو النهج الحسيني المحمدي الذي قارع الظلم والتحريف، منذُ العاشر من **محرم عام ٦١ هـ**، عندما وقف بوجه الطغيان الأموي الجاهلي وقدم الدماء الزكية من أجل العقيدة والمبدأ الذي أنعم الله به علينا عندما بعث خاتم النبيين وسيد المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ رحمة إلى الإنسانية جمعاء، ليخرجها من براثن الجاهلية والعبودية والتخلف.

إنَّ حيويةَ المدرسة الحسينية وأداءَها الرسالي الخلاّق وأساليبَها المبتكرة في التأثير على المجتمع وقيادته، جعلت أعداء الإسلام، يوجهون سهامهم القاتلة إلى من يمثل هذه المدرسة أو من يقتدي بها ويسير على خطاها لإعتقادهم، بأنَّ هذا النهج الحسيني المحمدي استطاع أن يبقى على الخط الإسلامي الصحيح معافى وغير محرف برغم ضراوة الحرب الشعواء التي شنت ضده عبر العصور – وهذا بحدِّ ذاته يُعدُّ عقبةً كبرى تقف أمام تحقيق مشاريع أعداء الإسلام وأحلامهم المريضة بالقضاء نهائياً على الدين الإسلامي وتدمير جوهره الفعال، المتمثل بخط عترة رسول الله ﷺ الأئمة المعصومين الأطهار.

أنَّ مسؤولية التصدي للهجمة الشرسة ضد الفكر الإسلامي الحضاري النيِّر في هذا العصر – يجب أن تشمل قطاعات الشعب كافة وأن تنهض بها المؤسسات الإجتماعية كافة، حكومية أم غير حكومية إضافة إلى دور الأفراد، حتى نستطيع أن نعود بالعراق مجدداً إلى وضعه الطبيعي والرائد والخلاّق بين الأمم المتحضرة، وبخاصة بعد تخلص هذا

الشعب من كابوس الدكتاتورية والقمع والوحش ..لذلك لابدَّ لحوزاتنا العلمية وعلمائها الأعلام وجميع المنظمات الثقافية أن تبدأ مشروعاً حضارياً طموحاً يرتقي بالإنسان العراقي ليسد الفراغ الفكري الحالي الذي خلفه النظام السابق، حيث أدى إلى تدني المُثل والقيم النبيلة والسامية في جميع الممارسات الحياتية الإعتيادية اليومية فقد شاع الفساد الإداري والإخلاقي وشاعت الرشوة والفوضى ودخل الإرهاب مجدداً ومن منافذ أخرى وكثيرة حيث أستكلب أعداء العراق وأعداء المدرسة الحسينية عندما رأوا إنَّ العراق قد تخلص من نظام العبودية – وأنه لا رجعة إلى الدكتاتورية أبداً.

إذن ..لابدَّ أن نسارع إلى أصلاح الخلل في بنية مجتمعنا من خلال تفعيل الأنشطة الحيوية التي باستطاعتها أن تحدث تغييراً إيجابياً يُخرجنا من هذا المأزق الصعب ..ولابدَّ أن نقدم – إضافة إلى الخدمات الإجتماعية الأساسية والضرورية ..فكراً خلاّقاً يرقى بهذا المجتمع ويعيده إلى منابعه الأصيلة.

وأنني هنا أستشهد بمقولة السيد المسيح– الخالدة: «**ليس بالخبز وحدهُ يحيا الإنسان**»

وإنطلاقاً من هذه الرؤيا الخلاّقة توجهنا إلى المسرح، هذه الأداة الخطيرة البالغة الأهمية، مستندين فكرياً وأخلاقياً على منهاج المدرسة الحسينية الخالدة والتي نعتقد جازمين بأنها المؤهلة الوحيدة للإنتقال بالمجتمع العراقي والعربي والإسلامي من واقع التخلف المزري الذي يعيشه حالياً ..إلى واقع مغاير تماماً يتوفر على الإزدهار الحقيقي، حيث تتوفر فيه الطمأنينة والسلام والمحبة والديمقراطية الحقيقية بمنهاجه الإصلاحي الجذري حيث يستطيع أن يقضي على مظاهر التخلف والبؤس والشقاء والجهل المتفشي حالياً مع الأسف الشديد ..

إذن ..في المسرح الحسيني – تحديداً – نستطيع أن نجد ضالتنا ..نستطيع أن نقدم إلى جانب الملحمة الحسينية الخالدة ومعانيها ودلالاتها الإنسانية والفكرية التي تساعد المجتمع على مواجهة الأزمات والمحن والعبور إلى الضفة الأخرى بكل عزم ويقظة، عندما يتوفر الإيمان الحقيقي بهذا النهج المبارك.

كذلك نستطيع أن نقدم أعمالاً معاصرة تستند إلى مبادئ المدرسة الحسينية وصولاً إلى تحقيق أهدافنا المشروعة في إقامة مجتمع العدالة الإجتماعية والمساواة الإنسانية.

إن الأسلوب الحضاري العلمي الرصين الذي ندعو إليه – في المسرح الحسيني – البعيد عن العواطف الساذجة والإنفعالات والممارسات المتخلفة، المضرة بالرسالة الحسينية، سيبعدنا عن الكثير من الإشكاليات القائمة حالياً في بعض الممارسات الفردية، وسيرصِّنُ – بالتأكيد – منظومة الفكر الحسيني – الخلاّقة – من جميع محاولات التحريف والتشويه المتعمد الذي يسعى إليها الأعداء بإستمرار، لشل فاعلية هذه المدرسة ...

إن الأعداء يعلمون تماماً ..بأن الفكر الحسيني هو الإمتداد الطبيعي للفكر المحمدي السماوي المقدس ..حيث يستند على القرآن الكريم - دستوره الأول وعلى السُّنة النبوية الشريفة وعلى مآثر الأئمة المعصومين عليهم السلام الذين خلفوا لنا تراثاً خالداً في الحياة يعيننا على تجاوز كل الصعاب ونحن ..إضافة إلى كل ما تقدم ، عندما ندعو إلى تأسيس – مسرح حسيني – في هذا الوقت بالذات فإننا لا ننطلق من فراغ أو نمني النفس بأمنيات غير قابلة للتحقيق، منتظرين من الآخرين تحقيقها ..بل أن العكس هو الصحيح – فإننا نقولها بفخر واعتزاز وتواضع ..بان عملنا في هذا الاتجاه – كان قد إبتدأ منذُ أواسط السبعينيات من القرن الماضي، عندما بدأ الحلم يراودنا ..، ثم توكلنا على الله، وبدأنا نحقق

أحلامنا خطوة خطوة، في كتابة المسرحية الشعرية المختصة بتجسيد الملحمة الحسينية تحديداً، حيث أنجزنا خلال الربع القرن المنصرم، المسرحيات الشعرية التالية: -

١ – سفير النور – مسلم أبن عقيلعليه السلام.

٢ – صوت الحر الرياحي.

٣ – صوت الحسينعليه السلام.

٤ – قمر بني هاشم – العباس بن عليعليه السلام.

٥ – سِفر الحوراء زينب سلام الله عليها –

٦ – سِفر التوبة – نهضة التوابين وثورتهم ضد الحكم الأموي .

٧ – آيات اليقين، في سِفر أم البنين.

٨ – الثائر الشهيد – زيد بن علي بن الحسينعليه السلام.

إضافة إلى أعمال أخرى، هي في طريقها إلى الإنجاز ..ومنها: -

أ – مسرحية شعرية **عن سيرة الإمام زين العابدين (السجاد)** عليه السلام.

ب – مسرحية شعرية **عن أنصار الحسين.عليهم السلام.**

كذلك سنكتب عدداً من المسرحيات عن جميع الشهداء الذين ساروا على المنهاج الحسيني وفي مقدمتهم شهدائنا الأعلام مثل : -

١ - آية الله السيد محمد باقر الصدر قدس سره.

٢ - آية الله السيد محمد صادق الصدر قدس سره.

٣ - آية الله السيد حسن الشيرازي قدس سره.

٤ - آية الله السيد محمد باقر الحكيم قدس سره.

وكذلك سنكتب إن شاء الله ..عن جميع الأعلام والمفكرين من الأحياء والأموات من الذين عشقوا مدرسة سيد الشهداء وساروا عليها وأبدعوا في مجالاتهم المختلفة وقدموا للإنسانية خلاصة أفكارهم وأعمالهم الخالدة من اجل خدمة رسالتنا الإنسانية العظيمة ذات الطابع الإنساني الحضاري الشامل.

...إنَّ هذا التمهيد، يسلط الضوء على جانب من الإنجازات ويمهد إلى الدخول بفصول أخرى من جهدي المتواضع.وحلم كان يعيش معي – أو نهض بعد أن أنجزت الملحمة الحسينية في المسرح الشعري.ألا وهو كتابة نظرية عن المسرح الحسيني.حيث نهضت هذه الرؤية من خلال تجربتي المتواضعة في الكتابة بعد الإنجازات التي ذكرتها إضافة إلى كتابة بعض المسلسلات الإذاعية التي تسير بالاتجاه نفسه المبارك مثل : -

١ - مسلسل **صوت الحر (الرياحي).**

٢ - ومسلسل **سفير النور، مسلم إبن عقيل.**

٣ - ومسلسل **صوت الحسين**عليه السلام.

...إنَّ كل هذه الإنجازات، إضافة إلى إنجازاتي في مجال الشعر – وهي كثيرة والحمد الله – ما هي إلاّ جهد متواضع ومقدمة بسيطة أهديها إلى عشاق المدرسة الحسينية وهي – أول الغيث – آملاً من أجيالنا المخلصة لآل البيت النبوي الأطهار أن تغنيها وتثريها، وتجذّرها بين الناس، خدمة للإنسانية: ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ..**﴾ صدق الله العلي العظيم

المقدمة

منذُ مباشرتنا الكتابة – في المسرح الشعري – عن الملحمة الحسينية تحديداً، وذلك في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، دعونا إلى تأسيس – مسرح حسيني – في داخل العراق وخارجه، لما يمثله الإمام الحسين وثورته ضد الظلم والاضطهاد الأموي عند كثير من الطوائف الإسلامية والأديان والأمم الأخرى.

وبعد توغُّلنا في هذا العالم الرحب المبارك تبلورت لدينا أفكاراً ورؤى نعتقد بأننا سنكون السباقين إلى تسليط الضوء عليها وكشفها، وتقديمها إلى المهتمين والمشتغلين بالفن المسرحي وإلى عشاق سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام أينما يكونون من العالم.

وهذا ما دعانا إنجاز هذا الجهد المتواضع الذي استغرق منّا سنوات عديدة، حيث نهضت لدينا قناعات من خلال كتاباتنا المتواضعة ونحنُ هنا بادئ ذي بدءٍ ..لا ندعي الكمال ..فالكمال لله وحده سبحانه وتعالى ..وكذلك نعدُّ هذا الذي هدانا الله إليه، ما هو إلاّ ملاحظات عامة داعياً في هذه المناسبة من جميع من يقرأ هذا الجهد المتواضع – أن يسهم في إغنائه والتوغل في أبعاد ومديات أخرى أكثر عمقاً – فالفكر الحسيني المحمدي ..فكر خلاّقٌ ومعين لا ينضب ..والدراسات بشأن الفكر الحسيني والمدرسة الحسينية لا تنتهي أبداً ..ولدينا مثالٌ بسيط ..فقد وصلت أجزاء الموسوعة الحسينية التي يرأسها ويشرف عليها آية الله الدكتور الكرباسي حفظه الله **(٥٥٠)** مُجلداً ..ومازال العدد في

تصاعد ..وهذا ما لا يوجد في أية موسوعة في العالم ..وهذه هي إحدى معاجز المدرسة الحسينية وبركاتها وكراماتها ..

إذن ..كما قلنا ..ونقول ..هذا غيض في فيض ..

سنتناول في نظرية المسرح الحسيني الأبواب أو المواضيع التالية : -

القسم الأول

١ - لماذا المسرح الحسيني؟

٢ - العلاقة بين الجمالي والخلقي في المسرح الحسيني.

٣- لماذا الشعرية، في المسرح الحسيني؟

٤ - خصوصية تركيب الجملة الشعرية ودلالاتها.

٥ - التوفيق بين الاختزال الشعري، والإسهاب النثري.

٦ - الرؤية الشعرية عند الكاتب الحسيني.

٧- الديكور والملابس والإكسسوار والمؤثرات المختلفة.

القسم الثاني:

أما في القسم الثاني فسنثّبت بعض الفصول والمشاهد من انجازاتنا المسرحية المتعلقة بالموضوع، ليطّلع القارئ عليها ويرى مصداقية مزاعمنا التي سوف نطرحها ..ومدى تطابقها مع ما ندعي وما ندعو إليه.والقارئ سيكون هو الحكم ..وكنّا قد عزمنا على تقديم دراسة تحليلية لهذه الفصول أو المشاهد أو النماذج ..ولكننا تركنا الأمر للآخرين ..فلا نريد نحن التكلم عن إنجازاتنا ..وبالمناسبة فأنَّ أغلب هذه المسرحيات أخذت طريقها إلى دور النشر وكما يأتي: -

١- مسرحية **(صوت الحر الرياحي)** – طبعت في الكوفة في دار التوحيد .

٢- مسرحية **(سفير النور)** طبعت في مطبعة دار الحكمة في كربلاء.وهما الآن في الأسواق إضافة إلى نشر عدد آخر من المسرحيات في جريدة **(الهدى)** الكربلائية ..وكذلك مثبتة على موقع في الانترنت ..فبالإضافة إلى المسرحيتين السابقتين هناك.

٣ – مسرحية **(صوت الحسين)** منشورة في جريدة **(الهدى)** الكربلائية.وسيتم نشر بقية المسرحيات في جريدة **(الهدى)** الكربلائية تباعاً حيث أخذت الجريدة على عاتقها ذلك، قبل أن يتم طباعتها على شكل كتب ضمن سلسلة **(المسرح الحسيني)** والتي كما نوهنا عنها بأنها ستكون في المكتبات قريباً.

ومن المهم أيضاً هنا أن ننوه فقط إلى إننا أنجزنا سيناريو فيلم روائي طويل بعنوان **(ثار الله)** وهو أيضاً يجسد الملحمة الحسينية الخالدة لنعطي فكرة تفصيلية عن إنجازاتنا المتواضعة – فنحن نبحث في موضوعة الإمام الحسين وننهل من معين المدرسة الحسينية بشكل شامل ومن أية رؤية أدبية أو فنية نراها مناسبة، وضمن اختصاصنا وتجربتنا المتواضعة من أجل إيصال هذا الفكر الخلاّق إلى جميع بقاع العالم.

والفيلم يتكون من جزءين، كلّ جزء زمنه **(١٢٠)** دقيقة سينمائية.

كذلك ارتأينا – في نهاية القسم الثاني أنْ نثبت – الدراسة النقدية – للمبدع الفذ الناقد المرحوم الأستاذ الشاب لواء الفواز الذي كان يَعدُ بالكثير إلاّ أنَّ يد المنون إختطفته قبل أوانه، حيث كان يدرّس في جامعة كربلاء.

والدراسة النقدية للراحل الفواز عن مسرحية الحُرّ الرياحي، حيث كانت هذه الدراسة قد نشرت في جريدة الهدى عام ٢٠٠٥م وقبلها كان الناقد – الفواز قد قدم الشاعر رضا الخفاجي قي عام ١٩٩٦م في أمسية خاصة عن مسرحية صوت الحُرّ الرياحي ضمن أماسي إتحاد الأدباء في كربلاء ..إننا هنا نكتفي بتثبيت هذا النموذج وبدون تعليق حيث نترك الإنطباع والتعليق للقارئ الكريم.

المدخل

تؤكد غالبية المصادر التي تبحث في تأريخ المسرح العالمي، بأنه نشأ منذُ زمن الإغريق متأثراً بالطقوس الدينية التي كانت مسيطرة على كيان المجتمعات القديمة ...كما أكدت دراسات أخرى بأنَّ المسرح نشأ منذُ ملحمة **(كلكامش)** في العراق القديم، قبل الإغريق بزمن بعيد، وليس كما أشيع خطأ بأنَّ اليونان هم أول من مارسوا الفن المسرحي.

وفي جميع الأحوال والطروحات، فأنَّ المسرح نشأ مستنداً على الدين والقوى الميتافيزيقية – الغيبية – حيث أرتبط بالخوارق بشكل عام.أما بالنسبة إلينا فأننا نعتقد بأنَّ الفن المسرحي أو الظاهرة المسرحية نشأت عندنا في العراق بطقوسه البدائية منذُ العاشر من **محرم عام ٦١هـ**، عندما حدثت معركة الطفّ الخالدة بين الجيش الأموي الكبير في عدده وعُدَّته وبين الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام وكوكبة من أهل بيته وأنصاره والأوفياء المخلصين لخط الإسلام الرسالي الصحيح ..ونستطيع أن نحدد بدقة أول مشهد مسرحي حقيقي وعفوي ومؤثر حدث في أرض كربلاء بعد العاشر من محرم بثلاثة أيام، عندما خرجت قبيلة بني أسد التي كانت تسكن في تلك المنطقة، بعد أن أبتعد الجيش الأموي عن أرض المعركة وبعد أن حزَّ رؤوس الأطهار، الإمام الحسين وأهل بيته وعلقها على رؤوس الرماح وذهب إلى الكوفة وفيها إلى الشام حيث مقر حكم الطاغية الأموي يزيد بن معاوية ..

فقد خرجت تلك القبيلة العربية – بني أسد – بشكل عفوي، عندما علمت بأن جثث الشهداء بقيت في الصحراء، على أرض المعركة بدون دفن.فأرادت دفن جثث الشهداء الأبرار.

إنَّ تلك الوقفة وذلك الفعل الذي قامت به تلك المجموعة من أبناء بني أسد، تعدُّ بداية حقيقية وطبيعية للمسرح الحسيني في العراق، حيث بدأت هذه الطقوس تتطور شيئاً فشيئاً بمرور السنين نتيجة للمتغيرات السياسية والإجتماعية ونتيجة لتطور الوعي الثقافي والفعل الحضاري عند عشاق الإمام الحسين، وبرغم مواجهتهم لمصاعب ومخاطر جمة عبر العصور إلاّ أن الأوفياء من محبي آل البيت حافظوا على طقوسهم وطوروها بما ينسجم ومراحلهم المختلفة إلى أن وصلت الآن إلى أشكالها المختلفة والمتطورة نسبياً، حسب الزمان والمكان والإمكانيات المادية والفنية وحسب درجة الوعي، حيث تقام سنوياً الشعائر الحسينية في الكثير من البلدان العربية والإسلامية وبخاصة في أيام العشرة الأولى من شهر محرم الحرام من كلِّ عامٍ.

أما في المسرح – موضوع البحث – وبرغم وجود الكثير من النصوص التي حاولت أن تكتب عن ثورة الإمام الحسين ﷺ في داخل العراق وخارجه، حيث تناولت تلك الشخصية الفذّة المقدّسة، إلاّ إننا لم نجد فيها ما يؤكد على خصوصية متميزة للمسرح الحسيني الذي ندعو إليه من خلال سمات التفرد التي نحاول مخلصين البحث فيها والغوص في أعماقها جهد المستطاع، فالكثير من الكتاب يعتقدون بأنَّ هذا المسرح الذي ندعو إليه يندرج تحت أسم المسرح الديني أو المسرح الإسلامي أو المسرح الملحمي وليس هناك ضرورة أن نقول – المسرح الحسيني.

لكننا نقول – إنَّ هناك بعض المشتركات في عموم الفن المسرحي وإنَّ هناك أوجه شبه بين بعض التسميات – لكننا طالما ننطلق من منطلق عقائدي ورسالي فإنَّ الأمر يختلف كثيراً ويصل إلى حد القطيعة والتضاد في مفاصل كثيرة.لأنَّ ما ندعو إليه له خصوصيته وسماته المنطلقة من منظومته الفكرية الخلاّقة وهذا ما سنحاول بحثه وتسليط الضوء عليه في الفصول والأبواب اللاحقة من البحث.

القسم الأول

نظرية

المسرح الحسيني

ما هي نظرتنا إلى الإمام الحسين عليه السلام؟

١ - مَنْ هو الإمام الحسين؟ ..قد يبدو هذا السؤال للوهلة الأولى عادياً وكلاسيكياً، حيث ستجيب الغالبية العظمى: ومَنْ منّا لا يعرف الإمام الحسين؟..نعم هذا صحيح..ولكن معرفتنا بالإمام الحسين عليه السلام شيء وإيماننا بمميزاته ومواصفاته الخاصة شيء آخر ..وأنَّ الإشتغال على هذا الإيمان أو هذه الرؤية في الجانب الأدبي الابدَّاعي ..هو الجوهر ..وهو الفيصل الذي نتميزُ به عن غالبية الكتاب الذين كتبوا عن الإمام الحسين عليه السلام وفي المسرح الشعري تحديداً. لكوننا نرى : إنَّ الإمام الحسين عليه السلام بشرٌ ولكن من طراز خاص لا يمكن أن يتكرر، إلاّ من كان يتوفر على مثل صفاته ومميزاته ومنزلته عند الله تعالى وعند نبيه الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ونختصر هذه المميزات كالآتي : -

١- **الإمام الحسين عليه السلام:** هو أبن سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراء بنت محمد بن عبد الله خاتم النبيين وحبيب إله العالمين.

والحسينُ: هو أبن الإمام علي بن أبي طالب أول رجل آمن بالرسالة الإسلامية المحمدية بدون قيد أو شرط ولم يسجد لصنم أبداً وهو ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وخليفته من بعده حسب يوم الغدير الخالد المذكور في جميع كتب المذاهب الإسلامية وفي مقدمتها كتب الصحاح الستة.

٢ – **والإمام الحسين** عليه السلام هو من الأئمة الأثني عشر المعصومين وخامس أصحاب الكسا ومن أهل المباهلة – الذين باهل بهم النبي صلى الله عليه وآله مع نصارى نجران – وهو مع أخيه الإمام الحسن عليه السلام سيدا شباب أهل الجنة.

٣ – **موقفه في العاشر من محرم عام ٦١هـ في كربلاء**، ومقارعته للطاغية يزيد بن معاوية أبن أبي سفيان بتلك الروحية والبطولة الخارقة والتي لم يذكر لنا التأريخ ما يشبهها على الإطلاق وأنَّ مَنْ يقرأ الملحمة الحسينية الخالدة ويعرف تفاصيلها يدرك ما أرمي إليه.

٤ – **مكانته عند رسول الله محمد صلى الله عليه وآله الذي قال:** « **حسينٌ مني وأنا من حسين** » إضافة إلى وجود الكثير من الأحاديث النبوية بحقِّ الإمام الحسين ..لكننا نكتفي بهذا الحديث الآن فقط وتفسير مدلولاته الواضحة ..وكذلك إخبار النبي محمد صلى الله عليه وآله لزوجته **(أم سلمة)** عن كربلاء وإستشهاد الإمام الحسين فيها ...

كلُّ هذه الحقائق تدلُّ على عظمة مكانة الإمام الحسين عند النبي محمد صلى الله عليه وآله وعن علاقته بالخالق جلت قدرته والمكانة المتميزة والمتفردة للإمام الحسين – مع الأئمة المعصومين – الذين يمثلون الإمتداد الطبيعي للرسالة المحمدية التي جاءت بها السماء..لأنَّ النبي صلى الله عليه وآله لا ينطق عن الهوى ..إنْ هو إلاّ وحي يوحى.

إذن نحن نقف أمام بشر ولكن ليس ككل البشر ..والتي هذه بعض مواصفاته باختصار شديد ..لذلك نحن نؤمن بأنَّ هناك حسيناً واحداً في هذا العالم والذي ذكرنا بعض صفاته ..والإمام الحسين، أكبر من طائفة أو مذهب أو معتقد، لكونه نهض من أجل البشرية جمعاء لينصر الحقَّ ضد الباطل وليقيم الحق والعدل في الأرض.

فلو كان هناك ألف حسين – كما يقول بعضهم – لكانت الأرض الآن تنعم بالازدهار والرفاهية والحرية والعدل والمساواة.إنَّ حسيناً واحداً قد أذهل طغاة العالم بنهضته التي قامت منذُ أكثر من ألف عام، حيث ما زالت البشرية تنهل من معين تلك النهضة المباركة لمقارعة طغاة الأرض وجبابرتها عبر العصور – فكيف إذا كان هناك – ألف حسين **..!!** كما يعتقد بعضهم.

إنَّ الأسلوب الحضاري الإنساني الذي قدمه الإمام الحسين وهو يقارع الطغاة إلى آخر لحظة من حياته قد أذهل به الطغاة أنفسهم وهذا ما لم يحصل في أية ثورة في العالم، حيث كان الإمام الحسين هو الذي يتحكم بإدارة الصراع وأسلوب ونتائج المعركة مع توفره على روحية ومعنويات خارقة، وهو يرى أبناءه وأخوته يسقطون صرعى أمامه وهو يقول **..**إنَّ لكم حقاً عليَّ **..**فأنا إمامكم وأريد تنويركم لقد كان يأمل إلى آخر لحظة من حياته أن يُصلح شأن الأمة وينقذها من أشرارها ومن آفات الدنيا وغوايتها **..**فهل هناك حسينٌ آخر بمثل هذه المواصفات؟.

وعليه فإننا بمثل هذا الإيمان وبمثل هذه الرؤية لهذه الشخصية الفذّة الخالدة نتعامل، لحظة الكتابة الابدَّاعية **..**وهذه النظرة واقعية وواعية وهي تحاول ما استطاعت الإقتراب من هذه الشخصية العملاقة قدر المستطاع – وليتها تستطيع – إنَّ هذا الإيمان الذي تحول إلى عشقٍ وإنبهار بسيد الشهداء، يدفعنا بأن نكون موضوعيين برغم عاطفتنا الجياشة **..**إنّ هذا الإنجاز الإيماني لن يكون إلاّ موضوعياً متوفراً على رؤية إبداعية أصيلة وخلاّقة ليكون مؤهلاً في تقديم نموذجه إلى جميع أمم الأرض.

لماذا – المسرح الحسيني ..؟

المطّلعون على جوهر القضية الحسينية وعلى حقيقة الصراع الذي كان قائماً بين التيار المحمدي الحسيني وبين التيار الأموي الجاهلي، في الرؤى ووسائل التنفيذ، يدركون مدى أهمية وضرورة المحافظة على إدارة هذا الصراع لإبقاء – هذا التيار الرسالي – بؤرة إشعاع وأمل حقيقي يقف دائماً ضد محاولات ومساعي أقطاب الباطل، في كلِّ زمان ومكان – يمنعه من تنفيذ مشروعه التحريفي الذي دأب على ترسيخه في المجتمع الإسلامي وسخر الكثير من مرتزقته من أجل ذلك ..

هذا ما يعتقد به – على الأقل – أنصار التيار الحقيقي المتمثل بالرسالة المحمدية التي حمل شعلتها أصحابها الشرعيون – آل البيت الأطهار – ومن الذين آمنوا بهم ..و هذه رؤية كلُّ منصف يقرأ ويعرف الحقائق كما هي .

لذلك كانت النهضة الحسينية وما زالت، من أكثر الوسائل استخداماً، وأكثرها تأثيراً، في المجتمعات المتطلعة إلى التحرير من جميع أنواع الظلم والحيف لتصل بأحلامها المشروعة إلى مستوى التحقيق تحت ظلِّ حياة إنسانية كريمة تليق بآدمية الإنسان وفي الوقت نفسه تتمثل لأوامر خالقها من خلال تطبيق منهاجه الذي جاءت به الرسل والأنبياء عليهم السلام .

وإنطلاقاً من هذه النظرة الواقعية، دأب الحكام الطغاة، منذُ عقود طويلة، وفي العراق تحديداً على قمع طقوس الملحمة الحسينية، والتي تمارس في أيام شهر عاشوراء، وبخاصة في مدينة كربلاء – مكان الواقعة – حيث تصاعد ذلك القمع الوحشي إلى درجة لا يمكن أن يتصورها العقل البشري، في زمن الطاغية المقبور، الذي كان يعَدُّ إقامة

وإدامة الشعارات الحسينية في أيام عاشوراء، في كربلاء – من قبل الجماهير المليونية المحبة لآل البيت الأطهار، هي بمثابة عصيان مسلح علني ضد نظام السلطة الفاشي وأهدافه المريبة، على الرغم من بساطتها وعفويتها ..لأن تلك الشعائر، برغم محدوديتها، باستطاعتها أن تحدث تغييراً جذرياً في بنية المجتمع العراقي ولا يصّب في خدمة النظام بل وتتقاطع مع – أفكاره ومساعيه الرامية في القضاء على تلك الشعائر والطقوس، بل والقضاء نهائياً على النهج الحسيني المبارك وسلخه من حياة المجتمع، ليسهل بالتالي قيادته كالأعمى أو كالعبد المطيع الذي لا حول له ولا قوة !

لقد حاول النظام البائد جاهداً أن يكرس – في المجتمع العراقي – مفاهيم دخيلة وطارئة عليه من أجل تفكيك بنيته ونسيجه الإجتماعي الذي كان محكماً ..، ولقد حقق الكثير من النجاحات، وفي مجالات مختلفة – مع شديد الأسف – وقد ساعدته في ذلك عوامل عدة لا مجال لذكرها الآن – هنا – حتى لا نخرج عن موضوع البحث.

ومع كُلِّ تلك المحاولات بقي الصراع قائماً ..وبقيت الشعارات متواصلة برغم ضآلتها ..لكنها لم تمت إطلاقاً.

وعند بزوغ فجر الحرية في العراق من جديد ..وكرد فعلٍ طبيعي ضد الوضع المجحف السابق – ازدادت الفعاليات والطقوس والممارسات بعفوية وصدقٍ وإخلاص من أجل إثبات وجودها وإصرارها على السير بدرب المولاة للنبي الأكرم محمدﷺ وآل بيته الطيبين الطاهرين حتى وصل الأمر في بعض الأحداث والأمور إلى حد المبالغة أو التشويه غير المتعمد لقدسية هذه الطقوس مما جعل الكثير من المثقفين والواعين لجوهر الصراع والمخلصين لنهج سيد الشهداءعليه السلام أن ينتبهوا إلى حقيقة الأمر وحتى لا يُستغل من قبل الأعداء، القدامى الجدد وحتى يكون باستطاعتنا أن نوصل فكر ومنهاج أبي عبد

الله الحسين﵇ إلى العالم بأسره، سعينا إلى المضي قُدماً بهذا المشروع المبارك ألا وهو إقامة – مسرح حسيني – يتوفر على مستلزماته الفكرية والفنية كافة وأن يُقَدم بأسلوب حضاري راقٍ، يبتعد عن العفوية والعاطفية الساذجة التي قد تضرُّ في أحيان كثيرة من أجل الارتقاء بالواقع الثقافي للمجتمع ورفع درجة وعيه ..لأننا نعتقد بأنَّ – المسرح – هو خير وسيلة لنشر هذا المشروع الحضاري مع كامل احترامنا وتقديرنا للقائمين على إدامة الطقوس الأخرى والذين تحملوا الكثير من المآسي خلال نضالهم المرير ضد الطغيان والدكتاتورية ..إننا، في الوقت الذي ندعو فيه إلى إقامة مسرح حسيني حقيقي، فأنَّ هذا لا يعني إلغاء الفعاليات الأخرى ..لأننا نؤمن بأن لكل زمن وسائل تعبير خاصة، وأنه في نهاية المطاف لا يصحُّ إلاّ الصحيح ..وأنه متى ما أستقر المجتمع وترسخت مؤسسات الدولة الشرعية فأنَّ الأداء سيكون أفضل والمستوى سيكون أرقى ..لكوننا أصحاب حضارة إنسانية خلاّقة، وأهل دين نشر مبادءَهُ الخلاّقة في جميع أركان الأرض بالمحبة والعدالة الإجتماعية والمساواة ...والآن ..قد يسأل سائل، لماذا هذا الإصرار على المسرح الحسيني ..؟ فهناك المسرح الإسلامي والمسرح الملحمي والمسرح الرسالي...إلى آخره من التسميات.إلاّ إننا عندما نؤكد على ضرورة تسمية مسرحنا بالمسرح الحسيني – فإننا ننطلق من الاعتبارات الآتية : -

١ – لا نُحبِّذ تسمية – المسرح الإسلامي، في تناولنا للملحمة الحسينية تحديداً لكوننا نختلف في تفسيرنا لهذه الكلمة مع بعضهم الذي يرى أن كُل الحكام المسلمين في العهدين الأموي والعباسي، الذين كانوا يلقبون بـ **(خليفة المسلمين)** زوراً ...لأننا نرى أنَّ أولئك الحكام كانوا من قتلة آل البيت الأطهار، الأئمة المعصومين، وأنَّ إسلامهم كان ظاهرياً ومُزيفاً، حيث إستغلوا

الدين الإسلامي للقفز على السلطة والتحكم برقاب المسلمين وإلاّ كيف يمكننا أن نتصور أنَّ خليفة المسلمين يشرب الخمر ويمارس جميع أنواع المحرمات والموبقات وهو يحكم باسم الإسلام..إنني اكتفي بهذا المثال فقط !!!

٢ – نعتقد بأنَّ خط آل البيت الذي ابعد الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، منذُ وفاة النبي محمدﷺ وإلى الوقت الحاضر، قد لاقى ما لاقى من العداء والحرب الشعواء التي لا هوادة فيها والتي مازالت مستمرة – كونه يمثل الإسلام الصحيح ..فأنه آن الأوان أن نضع الأسماء بمسمياتها وأن نقدم الحقائق كما هي غير مزيفة وغير مزورة وغير مشوهة، من خلال مآثر وإنجازات رموز هذا الخط الرسالي المبارك – الأئمة الأطهار – والتي مازالت محفوظة – والحمد لله – في مئات الكتب ومصانة من عبث العابثين المفسدين ..لأننا نعتقد، بأنه لو أتيح لهذا النهج المبارك أن يُعتمد في العالم الإسلامي فأنه سيحدث تغيراً جذرياً في مجتمعاته ويقودها نحو الازدهار والتقدم الحقيقي ويشيع في أجوائها الطمأنينة والسعادة الدائمة ويقضي على جميع أمراضها، من فقرٍ وجهلٍ وظلمٍ إجتماعي ويبعدها عن شبح الحروب القذرة التي يفرضها باستمرار الحكام الطغاة لتحقيق مصالح أعداء الأمة الإسلامية .

٣ – لقد وجدنا من الناحية الفنية – أنَّ الملحمة الحسينية، ومن خلال أبطالها الرئيسيين، يمكن أن تكون نموذجاً متكاملاً، في المسرح الشعري تحديداً – لطرح القضية الحسينية عالمياً لما لهذا الأسلوب في الأدب والفن من تأثيرٍ على

الجماهير خاصة إذا قدّم بأسلوب خلاّق، راقٍ يبتعد عن النظرة الطائفية الضيقة..لأننا نؤمن بأنَّ الإنتفاضة الحسينية، لابدَّ أن تُقدم إلى العالم – كنموذجٍ يُحتذى به.

إذن آن الأوان ، في ظل مناخ الحرية التي انعم الله بها علينا – في عراق اليوم.وتحدياً للإرهاب الأسود المستورد والمفروض على هذا البلد المبارك ..نقول : آن الأوان لنقدم هذا النموذج الرسالي الأصيل الخلاّق إلى العالم ليعرف من خلاله – مَنْ هو الإمام الحسين وما هي رسالته ؟ ولماذا نهض ضد الطغيان والباطل ؟

إننا نؤكد باستمرار ..أنَّ الطرح الموضوعي الصادق والناضج سواءً أكان كتاباً أم مسرحية أم قصيدة أم فيلماً روائياً أم وثائقياً، سيصل بالتأكيد إلى قلوب وعقول أصحاب الأفكار النيرة من مختلف الشرائح الإجتماعية وفي جميع أنحاء العالم، وبالتالي سيحدث التغيير المطلوب الذي نسعى إليه جاهدين مرضاة لرب العزة ولدستوره الحق في هذه الحياة.

الشعرية في النص المسرحي

لّما كنّا - في المسرح الحسيني – نُسلط الضوء على شخصيات عقائدية من البشر الأصفياء المعصومين ..إذن لابدَّ لنا أن نتوفر على لغةٍ تليق بمثل هذا المستوى من البشر، في التخاطب، سواءٍ أكان ذلك في النص الأدبي أم على خشبة المسرح، حتى ترتقي اللغة إلى مستوى أفكارهم ورؤاهم ..وهذا لا يتحقق إلاّ بلغة الشعر، كونها الأبلغ والأرفع مستوى من اللغة العادية ..بمقدور الشعر أن يبلغ ذروة الحيوية والفاعلية والتأثير في المتلقي وسحبه إلى عوالمه الرحبة في أسرع زمن، لأن تأثير الشعر يكون آنياً ومباشراً وخاصة إذا كان النص الشعري مُجسداً على خشبة المسرح تجسيداً حقيقياً من خلال توفر الممثل القادر على إيصال شحنات الشعر وحيويته إلى المتلقي، حيث يظهر التفاعل الإيجابي مباشرة، خاصة إذا كان النص الشعري، يتوفر على عناصره الفنية القريبة من ذهنية المتلقي، الذي يُحّبذ أن يسمع ما هو واضح ومؤثر..لأننا هنا نقدم أفكاراً متصارعة وبأسلوب فني درامي.

إذن ..الوضوح الشعري، صفة أساسية على الكاتب المسرحي المبدع، في المسرح الرسالي الحسيني، أن يستخدمه.ونؤكد هنا – كما كنّا نؤكد دائماً : أنَّ جوهر الشعر يبغي الوضوح حتى يُحدث التأثير المطلوب.لكن هناك فرقاً بين الوضوح الفني والوضوح التقريري، ونحن هنا نتحدث عن الوضوح الفني، الموحي بدلالاته ورؤاه وتأويلاته.الشفافة التي باستطاعتها أن تدخل إلى القلوب مباشرة وبدون إستئذان فالمعنى هنا مهم جداً، بل هو الأساس، لأن القضية أو مجمل القضايا – في المسرح الحسيني، هي قضايا رسالية، وصراع أفكار، إنَّ المشاهد، عندما يدخل إلى صالة العرض المسرحي، أو

عندما يقرأ نصاً يجسد الملحمة الحسينية، يكون مهيأً ومعبأً عاطفياً وفكرياً خاصة مَنْ كان يؤمن بمذهب آل البيت الأطهار، وهذا الجمهور يمثل كماً كبيراً في المجتمعين العربي والإسلامي – أما في المجتمعات الأخرى، فأنَّ المشاهد أو القارئ ينظر إلى الموضوع من زاويته الإنسانية وما يحمله من قيم وأفكار ومواقف ودلالات حضارية آهلة بالحيوية وبأسلوب يرتقي إلى ذهنية أولئك ويستطيع أن يتلاقح معها ويؤثر فيها – إيجابياً من خلال التقديم والطرح الراقي الموضوعي المؤثر بعناصره الدرامية الإنسانية والتي تحتل الهم الشامل لهذا الكائن وهو يواجه كل هذا الظلم والإضطهاد، وعلى هذا الكوكب عبر عصور مظلمة طويلة ..حيث تتجسد التضحية ويتجسد الإيثار الذي توفر عليه الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه الأبرار، ليكون مثالاً عالمياً يُحتذى به لكل شعوب الأرض، عندما تواجه هكذا حالات من الظلم والإضطهاد.

إنَّ الشحنات العاطفية التي يتوفر عليها الشعر يستطيع أن يصل بالعمل الدرامي إلى ذروته في زمن قياسي مذهل !

وأنَّ أسلوب – السهل الممتنع – في الشعر، هو الأسلوب الأمثل والأكثر فعالية وتأثيراً في كتابة هكذا مسرحيات ..حتى وإن ترجمت مثل هذه الأعمال إلى لغات أخرى ..ولنا في مسرحيات – شكسبير – المترجمة إلى العربية خير مثال على ذلك، إذا توفر المترجم القادر على إيصال الصور الشعرية المفعمة بالنبل والصفاء والإيثار الإنساني الخالص الذي يتوفر عليه القادة الرساليون في العالم، الذين ينهلون من دستور السماء المقدس.إذن نحن أزاء كتابة ملحمة إنسانية راقية بجميع أبعادها ومستوياتها ..ولا يستطيع أن يجسدها إلاّ الأسلوب الشعري الخلاّق ..هكذا كتبت أفضل وأرقى الأعمال وأكثرها خلوداً في سِفر الإنسانية كذلك لابدَّ لنا ونحن نكتب عن هذه المأساة الخالدة في

سِفر أبي عبد الله سيد الشهداء وأصلب المدافعين عن الحقِّ أن نؤكد بإننا لا نريد هنا إحداث التأثير العاطفي الساذج والذي نشاهده – مع الأسف – في بعض الطقوس والممارسات المحسوبة على الشعائر الحسينية والتي تؤدى في أيام عاشوراء في بعض المدن العربية والإسلامية إضافة إلى مدينة كربلاء المقدسة ومع إننا نحترم كل البشر وكل تصرفاتهم وكل أشكال التعبير عندهم، وهذا ينبع من مستوى الوعي والإدراك – إلاّ أنَّ هذا ليس من أساليبنا وليس وارداً في ذهنيتنا إطلاقاً – لأننا لا نهدف إلى أن يبكي القارئ أو المشاهد عندما يتفاعل مع أعمالنا الأدبية، بقدر ما نريد منه أن يستخلص العِبر من هكذا مواقف بطولية خارقة من هكذا نموذج من البشر يتوفر على مميزات خاصة قلَّ نظيرها وبالتالي يكون هذا الطراز من الناس مؤهلاً لكي يحمل صفة القائد أو الرسالي المقدس الذي يستطيع بفعله الإستثنائي أن يحدث شرخاً أو زلزالاً في أركان الباطل ويواجهه بآيات الحق اليقين من أجل إنقاذ هذا العالم والوصول به إلى شواطئ الأمن والإزدهار.

إنَّ الأسلوب العفوي الآني وغير المنظم، ربما يصلح أن يؤدى في الشوارع والأزقة والأماكن العامة ..ولكننا نتكلم عن **(مسرح)** وهو مكان مُحدد ويتوفر على شروط ومستلزمات فنية خاصة به.ويتوفر على أساليب وتقنيات حديثة تستطيع بعلميتها أن تحقق الابدَّاع والإمتاع والإبهار في آن معاً، مع إيصال الأفكار مباشرة وبكلِّ وضوح إلى الجمهور، حيث تظهر نتيجة ذلك الفعل داخل صالة العرض ..

إذن علينا أن نؤكد كذلك بأننا نريد أن نقدم الفكر الحسيني والمدرسة الحسينية إلى جميع شعوب الأرض ..وهذا يتطلب تقديم عمل إستثنائي قادر من خلال آليات نهوضه الخلاّقة أن يتلاقح مع منظومة الثقافات الأخرى ومرجعياتها المختلفة من خلال مشتركاته الإنسانية بأسلوب أفضل وأمثل ..ومثل هكذا فعل يتطلب جهوداً كبيرة وكثيرة ومستمرة

مع تحمل أعباء ومتاعب كثيرة يوفرها بالتأكيد الصبر والمثابرة النابعة من الإيمان المطلق بالقضية ..فالإيمان هو الجوهر ..والإخلاص هو مفتاح النجاح والإصرار هو طريق الخلود الراسخ !

وهنا قد يُثار سؤال يقول : أنَّ الفكر الحسيني الرسالي قد وصل إلى مناطق عديدة وواسعة في أقطار الأرض ..فلماذا هذا الإصرار على المسرح الحسيني ؟ نقول : إننا عندما ندعو إلى تأسيس وإشاعة هكذا فعالية إبداعية أدبية وفنية وبأسلوب حضاري راق وواع، فإننا لا نريد إلغاء الفعاليات الإجتماعية الأخرى – لكننا في المسرح الذي نعدّه أحد الأدوات يستطيع أن يستقطب أعداداً كبيرة ومن الطبقات المثقفة الواعية من حملة الأقلام والأفكار النيِّرة وهذا يساعد على الإنتشار الأسرع ويحدث التأثير الأمثل.

كذلك إنَّ تأثير المسرح والسينما أكثر من تأثير الإذاعة أو الكتاب المقروء ونحن في عصر تقدم العلوم وتطورها فلابدَّ لنا أن نُسخِّر كل الإمكانات وكل التقنيات المتطورة من أجل خدمة أفكارنا وإنجازاتنا الابدَّاعية وإيصالها بأسرع وقت إلى العالم بأسره ..إنَّ الصورة أبلغ في حالات كثيرة من الرواية التي تعتمد على السرد التفصيلي الذي قد يستغرق طويلاً ولا يؤدي إلى نتائج مناسبة !

إذن ..نحنُ هنا نعوِّل أيضاً على الجانب الفني الخلاّق ..فالمخرج - يقولون عنه إنه مؤلف ثانٍ ! وأن مجمل العملية ونجاحها يتوقف على عدة عوامل لابدَّ من توفرها – كما قلنا – حيث تتدخل الصنعة هنا أيضاً لتقف بجانب الإبداع الأدبي الخلاّق ..وهكذا نرى بإننا ندعو إلى عمل وفعل أدبي وفني يتوفر على مستلزماته التي تؤهله ليكون قادراً على إحداث التغيير المطلوب عندما يقف على أسس راسخة ..فالعملية مطلوبة ..بل هي الشرط الأساس في هكذا فعاليات جماهيرية بالغة الخطورة ..حتى لا تكون النتائج عكسية

..فهذه الأداة سلاح ذو حدين ..إنْ أسأنا إستخدامه فأنه يعطي نتائج مغايرة لا تخدم القضية ..وكم هي الأعمال البائسة المقدمة على مسارحنا ..وكم هي الأعمال المتهافتة ..!! نحنُ هنا نُذكّر فقط ..لننتبه إلى مدى خطورة ما نريد القيام به .

العلاقة بين الجمالي والخُلقي في النص الإبداعي

منذُ بدء الخليقة وإلى الوقت الحاضر وإلى ما شاء الله ..كان البشر مختلفين ومازالوا في رؤاهم وأفكارهم، فكل مجتمع يتوفر على منظومته الفكرية والثقافية الناهضة من مرجعياته الإجتماعية والدينية ومن عاداته وتقاليده وطقوسه !..

فلما كان رافد (المسرح الحسيني) هو الفكر الإسلامي الخلاّق ودستوره المقدس – القرآن الكريم ..فأنَّ جماليات أدبنا وإبداعنا تنهل من الإسلام العظيم.الذي أستطاع الحفاظ على أصالته ونقائه، في حين تعرضت الكتب السماوية الأخرى كالتوراة والإنجيل إلى التحريف والتشويه.

لذلك أرتبط الإبداع الأدبي لدى الكاتب أو المفكر الإسلامي، بجوهر الإسلام، مع توفر هامش كبير للإضافة والتجديد المنسجم مع الجوهر.ليواكب حركة التطور الذي يشهدها المجتمع باستمرار .

وطالما نحن نبحث في الأدب والإبداع المنطلق من العقيدة والرؤية الإسلامية، إذن علينا الإلتزام بحدود وشروط هذه العقيدة وعلينا إن لا نتجاوز ذلك بدعوى التجديد أو الإبداع المتجاوز ..أو ضرورة توفر عامل الدهشة أو الصدمة، أو تهشيم اللغة !!..إلى آخره من الطروحات التي قرأنا نماذجها المتهافتة – مع الأسف – والتي ذهبت إلى سلة

المهمـــلات إذن ..نعـــود ونكـــرر ثانيـــة وثالثـــة وعـــاشرة ..بـــأن الإيـــمان هـــو جـــوهر العملية...وبدونه ستكون الرؤى مشوهة ..والمعاني عقيمة ..

والصور باهتة أو ميتة لحظة ولادتها ! إذن هناك شروط وقيود وخطوط حمر، فالكاتب الرسالي ليس كغيره ..والأدب الراقي يرفض التهافت والإنزلاق إلى الأساليب المبتذلة ! وهكذا هي الأعمال الخالدة.هنا لابدَّ لنا أن نستعرض ونتعرف على منطلقات بعض الكتاب من العراقيين ومن العرب والمسلمين، من الذين كتبوا عن الملحمة الحسينية..

هل انطلق هؤلاء من رؤية واحدة ؟ ..برغم إنَّ القضية واحدة وتفاصيل الواقعة معروفة ... أن معرفة تفاصيل الواقعة شيء ... والكتابة عنها شيء آخر ..إذ ينطلق كل كاتب من رؤيته الخاصة وأن كان مسلماً ..! وكذلك ينطلق من دوافع ذاتية وموضوعية – لحظة الكتابة – إضافة إلى مدى جدّية إعتقاده بالصراع القائم – في الملحمة الحسينية – ومدى جدواه وفاعليته في هذا العصر !

كلُّ هذه العوامل تلعبُ دوراً اساسياً في أسلوب الكتابة وشكلها وطريقة التناول ..ومن هنا تبرز أهمية اللغة من خلال أهمية مفرداتها المناسبة لهكذا نوع من الكتابة، ومن هذا المنطلق يحقُّ لنا أن نتسائل:

هل يحقُّ لكلِّ مبدعٍ أن يكتب عن القضية الحسينية ..؟

وهل يستطيع أن يدلو أي كاتب بدلوِه ..ومدى تأثير هذه الكتابات في الأوساط الثقافية والفكرية ..؟

للوهلة الأولى نقول : نعم يستطيع الجميع أن يكتبوا ..فالنهضة الحسينية جاءت لكل البشر ولكل الأزمان ..فطالما توفرت الرغبة في الكتابة فأن الكل يحقُّ لهم هذا !

وبعدها قد تموت ! إنَّ القضية تتعلق بمستلزمات لابدَّ للكاتب أن يتوفر عليها – ونحن هنا نؤكد باستمرار ..بإننا نتكلم عن المسرح الحسيني وعن القضية الحسينية وعن الصراع بين الإسلام النبوي والإسلام القبلي وعن صراع الحق ضد الباطل ..لذلك نعود مرة أخرى لنؤكد على – الإيمان في القضية – وبضرورة الإلتزام بجوهر القضية ..وعذراً للقارئ أن وجدنا نكرر ذلك ..!! ولكن نجد أنه لابدَّ من ذلك ..

إضافة إلى ما تقدم لابدَّ للكاتب أن يكون مطَّلعاً على حقيقة الصراع وأسبابه ونتائجه وما وصل إليه في الزمن الحاضر وأن يجسد ذلك بأسلوبه الإبداعي، مع إستشرافه للمستقبل ..وليس من حق الكاتب مثلاً أن يستغل القضية الحسينية لتسليط الضوء على قضية جانبية أقل أهمية ..بل إنَّ العكس هو الصحيح وهذا لا يتوفر عليه كل الكتّاب ..

إنَّ هناك أخطاءً كبيرة وخطيرة أوقعت الكتّاب في متاهات كثيرة، عندما وظفوا القضية الحسينية لقضايا أقل أهمية منها ..ولا ندري هل كانت تلك الأخطاء والمنطلقات مقصودة أو غير مقصودة، فقد أبعدت جوهر القضية وحقيقة الصراع وأفرغته من مضمونه الإنساني وقادته إلى قضايا ثانوية – بدعوى المعاصرة ، أو الحداثة أو أشياء ومزاعم أخرى دأب الكتّاب التصريح بها من غير مسوغ شرعي وقانوني وأخلاقي يبيح لهم ذلك ..أللهم إلاّ – بدعوى – الابداع الذي بدأ الكل يدعيها وأن لم يتوفر على ألف باء الثقافة – نحن هنا ننظر إلى الموضوع بحسن نية برغم قيام بعضهم بأعمال تخريبية متعمدة، كون هؤلاء الكتّاب من المعادين لآل البيت ومن المأجورين إلى جهات معادية للإسلام الصحيح.

..كذلك أراد بعضهم أن يدلو بدلوه، من أجل التقليد أو المحاكاة حتى يؤكد للآخرين بأنه يستطيع أن يكتب في المسرح كما في الشعر والرواية والصحافة ..

ونحن نعرف الدوافع الحقيقية ..لكننا نقول ! بسم الله الرحمن الرحيم ﴿**فأما الزبدُ فيذهب جفاءً ..وأما ما ينفع الناس فيمكثُ في الأرض**﴾ صدق الله العلي العظيم.

لذلك تباينت مستويات الكتابة مع تباين أهدافها وقد مات الكثير منها، أو أندثر لعدم توفر الأصالة والصدق لدى أولئك الكتّاب.

إننا عند كتابتنا عن الملحمة الحسينية، نبحث عن الكاتب العقائدي الرسالي الذي يعرف حقيقة جوهر الصراع ويتمسك بموضوعيته ونزاهته، لحظة الكتابة، كونه آمن بهذا المنهاج إيماناً مطلقاً نهض عن طريق الأدلة والحقائق التي لا لبس فيها، حيث نجده يعرف ماذا يريد وكيف يجسد تلك الحقائق إلى أعمال ومنجزات أدبية إبداعية، لأن مثل هذا الكاتب نجده قد وصل إلى مرحلة العشق الذي تتجلى فيه الحقائق حيث يصبح منهاج المدرسة الحسينية دليل عمل دائم في الحياة اليومية وينعكس ذلك كلية على جميع تصرفاته وتعاملاته مع الناس...

إنَّ هذا التصرف ليس ضرباً من الخيال ..بل هو من صميم الإيمان الحقيقي ..فالإنسان يساوي الموقف ...وكل شخصٍ ينهل من منهله ..وهذا أمر طبيعي ..

إنَّ على هذا الكاتب – الذي يتوفر على هكذا صفات – أن يجسد لحظات الألم والظلم والاستبداد، تجسيداً فنياً راقياً من خلال تقديم الصور الفنية المعبرة والمعاني الإنسانية النبيلة السامية المؤثرة وأن يحولها إلى حالات تعطي نتائج إيجابية، عندما يجعلها قادرة على أنْ تؤدي دورها في الحياة، من خلال الوقوف بوجه الظلم والاستبداد والتصدي لحالات الخذلان والهزيمة والخيانة ..التي كانت وما زالت سائدة في أوساط كثيرة ..

إنّ الهدف هو التجاوز من أجل التغيير الإيجابي ...

إذن جماليات الرؤى والمعاني – في المسرح الحسيني الرسالي – لابدَّ لها أن ترتبط إرتباطاً وثيقاً في الفكر والأخلاق الحسينية لأن هناك الكثير من الدلالات في الصور الشعرية قد تسيء أو تعطي معنى مغايراً لا يليق أن تُثبت في هكذا أعمال ..، وقد يقول بعضهم أن مثل هذه الاشتراطات تحد من إبداعات الكاتب ..أو إننا ننظر إلى الموضوع نظرة ضيقة وذات أفق طائفي أو مذهبي قد يدعوا إلى التعصب !

إنَّ مثل هذا التوجه غير وارد عندنا إطلاقاً ونحن الذين ندعوا إلى إيصال هذا الفكر المبارك إلى أقصى بقاع الأرض .

لكننا هنا نبحث بحثاً خاصاً ..عن مواصفات مدرسة تتوفر على مزايا من طراز خاص، كون رموزها قادة رساليون يُقر ويعترف بهم العالم – إذن هذه الإشتراطات نهضت من سمات ومميزات هذه المدرسة وهؤلاء الرموز ..

لقد قرأنا الكثير من المسرحيات التي كتبت عن الإمام الحسين ﷺ وإنتبهنا إلى الإختلاف في الرؤى والطرح ..لدى بعضهم من الكتاب وإنتبهنا أيضاً إلى كيفية توظيف الصورة الشعرية عندهم ..ولابدَّ لنا هنا أن نعطي بعض الأمثلة وسنكتفي بتثبيت مثالين:

أولاً:

في إحدى المسرحيات الشعرية لأحد الكتاب وردت هذه الجملة ذات الدلالات الجنسية، مع كثير من أمثالها، إستخدمها الكاتب حين قال : - **(الكوفة تفتحُ فخذيها) !** لقد وجدنا أن هناك أكثر من خمس عشرة جملة تتوفر على مثل هذه الدلالات الجنسية ..

في حين – نحنُ في مسرحية سِفر النور، مسلم بن عقيل ..نقول مثلاً:- **(الكوفة أحيت سوءَتها وتملّكها وهمٌ أهوج)**

إنَّ الصورة الأولى ذات دلالة مادية واضحة لا تقبل التأويل وهي صورة عادية، خالية من الإيحاء.

في حين تتوفر الصورة الثانية على تأويل وإيحاء ورقي في التشبيه .

إنَّ كلا الكاتبين ينطلقان من منطلقاتهما التي يؤمنان بها ...وهما هنا مختلفان في الرؤية والطرح ..وهذا ما نريد الوصول إليه – فمثل هذه التشبيهات وفي – الفكر الحسيني تحديداً – عندنا غير مستساغة ويمكن أن نأتي بالبديل الأرقى والأسمى ونحن نتوغل في سفرٍ خالد – فالجماليات في الصور والتشبيهات تنطلق من هذه القاعدة ..

ثانياً:

عندما أصدر الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد في الثمانينات من القرن الماضي مسرحيته الشعرية – **الحرّ الرياحي** – جاء في مقدمة المسرحية التي كتبها الناقد المعروف الراحل، جبرا إبراهيم جبرا الذي قال: **إنَّ الحر الرياحي كان مسيحياً ولم يكن يعرف الإمام الحسين ﷺ وعليه فهو لم يكن معنياً بالصراع.**

هذه الإشكالية الكبيرة ..وهذا التشويه للحقائق جعلنا نرد عليه مسرحياً – حيث حفزنا إلى كتابة المسرحية الشعرية – صوت الحر الرياحي والتي قدمتها فرقة مسرح **كربلاء الفني عام ١٩٩٨م** على قاعة الإدارة المحلية في المحافظة وبدعمٍ من لجنة المسرح العراقي، التي أعتبرت هذا النص في حينها – من أفضل النصوص التي قدمت إليها في بغداد.

وعندما أجرى الناقد **(ناظم السعود) في عام ١٩٩٧م** لقاء معي نشره في جريدة **(المصور العربي)** تطرقنا إلى تلك الإشكالية التي أوقع نفسه فيها الشاعر عبد الرزاق عبد الواحد ..وكذلك الناقد - جبرا إبراهيم جبرا – فقد قلتُ: لو لم يكن الحر الرياحي يعرف تماماً مَنْ هو الإمام الحسين، لم يكن يقدم نفسه فداءً له ويُضحي من أجله !

وكذلك لو كان الحر مسيحياً، لما صلى خلف سيد الشهداء عندما حان وقت صلاة الظهر، كما أكدت ذلك كلّ المصادر التأريخية الموثوقة.

إنَّ هذا الإنحراف في درجة الرؤية ..تُبعدُ الكاتب عن حقائق كثيرة وتدخله في متاهات لا نهاية لها – وهذا ما حصل لمسرحية عبد الرزاق عبد الواحد – التي كانت في الحقيقة مجموعة قصائد في فصول منفصلة خالية من النسيج الدرامي، وقد وظف فيها موضوعة **(الشعر)** لمآرب خاصة به ..

وهذا ناتج من عدم إلمامه بحقيقة إدارة الصراع وجوهره بين معسكر الحسين والمعسكر الآخر – كذلك فأنَّ منطلقات **(عبد الرزاق عبد الواحد)** تختلف مع منطلقاتنا بالتأكيد، الذي وظف القضية الحسينية لقضيته الشخصية، في حين نحن نرى دائماً ونؤمن بأنَّ القضية الحسينية هي الجوهر وباقي المسائل والمشكلات يمكن أن تستفيد من المنهاج والمدرسة الحسينية.

وهذه هي النقطة الجوهرية والأكثر أهمية بين رؤيتنا وبين الآخرين لحظة الكتابة ..وهذا ما دأبنا عليه دائماً ! فعندما تكون بداياتنا ورؤانا هكذا ..فأن النتائج التي سنصل إليها ستكون مغايرة بالتأكيد ! إذن كلٌّ ينطلق من مفهومه الإخلاقي الذي يحدد له معنى الجمالي وكيفية إستخدامه.وإنَّ هذا الاختلاف هو أساس الحيوية في الحياة ..وجوهر إستمراريتها.

إشكالية الإختزال في النص الشعري..والإسهاب في النص النثري

عادة ما يقوم كاتب النص المسرحي، في النصوص النثرية العادية، سواءً أكانت باللهجة الشعبية المحلية أو باللغة العربية الفصحى، بالإسهاب في الكتابة، بدعوى إشباع الشخصية من جميع جوانبها، النفسية والإجتماعية والإحاطة بالموضوع إحاطة شاملة ..خاصة الشخصيات الرئيسة في العمل المسرحي ..هذا ما يريده جميع المخرجين، من كتّاب الدراما المسرحية، لذلك نرى الكثيرين من الفنانين، سواءً أكانوا ممثلين أم مخرجين يتحرجون كثيراً عندما يجدون أنفسهم، أمام نص شعري، باللغة الفصحى، توفَر على مستلزماته الفنية والفكرية ...

تُرى لماذا هذا التردد والتخاذل أمام هكذا نص ؟

إنَّ النص الشعري، وبخاصة إذا كان مكتوباً باللغة العربية الفصحى ...والذي يبحث في سير القادة العقائديين والرساليين والذي يعتمد أسلوب الشعر الحقيقي المؤثر، يحاول أن يتصاعد بعطائه حتى يصل إلى ذروته، عندما يتوفر على إيحاءات وتأويلات تفتح ذهنية المتلقي إلى آفاق رحبة بجملٍ مختزلة مكثفة بدلالاتها الإنسانية الخلاقة، وبأسلوب مباغتٍ، يحدث الدهشة والصدمة والإمتاع في آنٍ معاً ! ..وهذا ما لا يتوفر عليه النص النثري العادي إطلاقاً ومع ذلك قد يضطر الكاتب في بعض الأحيان إلى إستعمال النثر عند الضرورة القصوى ..ولكن حتى هذا النوع من النثر، يتوفر على جانب أو نصيبٍ من الشاعرية، تؤدي أهدافها.

من هنا تبدأ الإشكالية الكبيرة بين الإسهاب الذي يريده المخرج والممثل بدعوى إشباع الشخصية ..والإختزال الذي يشتغل عليه كاتب النص الشعري، الذي يعوِّل

ويعتمد على تأويلاته وكشوفاته المهمة عندما يضخُّ شحنات عاطفية أو فكرية بأقل الجمل، التي تحتوي على الكثير من المعاني ..إذن إيصال - المعنى – إلى المتلقي، هو جوهر المشكلة ! لذلك يطالب المخرج دائماً بضرورة إيجاد ممثل مقتدر باستطاعته إيصال الكثير من الإنفعالات النفسية والرؤى التي يريدها كاتب النص من خلال خبرته وتجاربه الكثيرة في إنجاز هكذا أعمال ..وهذا – مع الأسف – غير متوفر في العراق ومنذُ زمن بعيد ..، حيث واجه النشاط المسرحي وعموم الحركة الفنية والثقافية والفكرية حواجز كثيرة وخطيرة، في جميع الأزمنة الدكتاتورية التي رفضت إعطاء المبدع العراقي هامشاً من الحرية في القول والفعل، حتى أصبح مشلولاً وغير قادرٍ على الحركة الفعالة !

لذلك لابدَّ من توفر الممثل المقتدر، الذي يعرف كيف يقدم تصورات الكاتب والمخرج معاً، إلى المشاهدين، كما يفعل بعض الممثلين المتمرسين القلة في إيصال الكثير من المواضيع، حتى بدون كلام كما في المسرح الصامت **(البانتومايم)** على سبيل المثال.

إذن ..الحركة، والإنفعالات الجسدية والنفسية تُغني عن الكثير من الكلام ..فهذه التصرفات وهذا الأداء باستطاعته تسليط الضوء على الكثير من الجوانب الإنسانية البالغة الحساسية والتأثير على المتلقي.وعليه لابدَّ لكاتب النص أن يتوفر على أسلوب يجمع فيه بين البساطة في الأسلوب والقوة والفاعلية في المعنى والوضوح في الرؤى وهذه أهم سمات **(المسرح الشعري الحسيني)** ومن الركائز الأساسية فيه ..كذلك ليس كل ممثل أو مخرج يستطيع أن ينفّذ هكذا أعمال إذا لم يكن يعشق العمل ويتفاعل معه بشكل لا محدود ..وهنا نأتي على النقطة الثانية ..وهي إنَّ على العاملين في هكذا مسرح، أن لا يضعوا العامل المادي في أول قائمة الإشتراطات ..برغم ضرورة ذلك الجانب، لأسباب كثيرة

يعرفها الجميع ..وبخاصة نحن نشتغل في مسرح محترف متخصص ..ولكن يجب أن لا تكون النقود أو المكسب المادي، هو كل شيء ..المهم أن يؤمن الجميع بجدوى عملهم ...

١ - فالكاتب عليه أن يؤمن بأنَّ ما يكتبه، هو سِفر مبارك مقدس، يقدم من خلاله خدمة لأبناء جيله وكل الأجيال القادمة ..وإلى الإنسانية جمعاء.

٢ - لابدَّ للكاتب ان يكون ملماً بشكل شامل بأبعاد القضية التي يكتب عنها.

٣- وكما قلنا ..على الكاتب أنْ يكون محترفاً في الكتابة، هاوياً في العطاء اللامحدود من خلال توحده مع العمل حد العشق والإنصهار.

إنَّ هذا لابدَّ له أن يتوفر في جميع الكادر العامل في هكذا مشاريع خلاقة ..

إنَّ المقدرة لا تنهض ولا تتحقق إلاّ بالإيمان والعشق والتوحد وبدون ذلك فإننا سنقدم **(مسرحاً)** مشوهاً وبائساً لا يستطيع أن يجسد المعاني السامية التي نادى بها سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ وبالتالي لا نستطيع أن نحدث التغيير المطلوب في بنية المجتمع وأنْ نقوده إلى حيث السعادة والإزدهار والتقدم الحقيقي ..

إذن ونحن في مرحلة التأسيس والمخاض الصعب ..لابدَّ أن ننتبه إلى أية ظاهرة أو أية إشكالية تنهض أثناء العمل وأن نقدم – البديل الناجح والناجع المتوفر على العلمية والفاعلية وأنْ نعتمد على أصحاب التجارب الكبيرة من ذوي الاختصاص وأن لا نبخل بأي شيء ..وفي مقدمة ذلك، الجانب المادي ..أقول ذلك وأنا حزين في هذه الأيام عندما افتح التلفزيون وأشاهد بعض الأعمال الدرامية من قنواتنا التي تنسب نفسها لمنهج آل البيت الأطهار، وهي تقدم – أعمالاً متهافتة – لا يليق بانتسابها ..حيث تعتمد الفضائيات الآن على فن يقدم عملاً بأقل كلفة ممكنة فهي بذلك تبخس حق الجميع وتسيء إلى انتمائها العقائدي بمثل هذا التقديم البائس والمشوه والرديء جداً.

إنَّ العمل الأدبي والفني الخلاق لا يقدَّر بثمن، وأنَّ إستغلال الظرف الطارئ الذي يعيشه العراق الآن، حيث أصيبت الكثير من النشاطات والفعاليات الثقافية بالشلل لا يعطي المسوغ لأصحاب القنوات الفضائية بأن يكونوا مستغلين، منتهزين مثل هذه الفرص لكي يبخسوا حق المبدع العراقي ..إنني اعرف ماذا أقول وأتمنى ما أقول والأدلة كثيرة ومحزنة ..يجب منذُ الآن التوقف عن إستغلال المبدع العراقي ..وكذلك على بعض العاملين، التوقف عن التهافت ..فالمال ليس كل شيء في الحياة، إذا أردنا أن نقدم أعمالاً إنسانية راقية وخالدة.وأنَّ هذا الظرف الطارئ لابدَّ أن يزول بعون من العلي القدير.

تركيبة الجملة الشعرية، في النص المسرحي ـ في المسرح الحسيني

أشكال الشعر وأساليبه متعددة، ومدارسه كثيرة، ورؤاه لا تنتهي.إذن ..ونحن نبحث في مسرح يتوفر على خصوصية من خلال ما طرحناه حتى الآن، علينا أنْ نختار وننتقي الشكل المناسب للشعر الذي يتلاءم مع روحية **(الملحمة الحسينية)** إضافة إلى وجوب التوفر على روحية شفافة خلاقة باستطاعتها إقناع المتلقي منذُ الوهلة الأولى بأهمية ما نقدمه حتى نستطيع أن نسحبه إلى عالم المسرحية.

لقد قرأنا الكثير من المسرحيات الكلاسيكية العربية، لأحمد شوقي وعزيز إباظة وآخرين ولم نقتنع بأعمالهم البدائية والتي لا تُذكر الآن إلاّ للتوثيق التأريخي، لأن تلك الأعمل لم تكن تتوفر – في الكتابة – على أبداع حقيقي، فقد كانت الكتابات مترهلة ونمطية وحركتها بطيئة، وتغلب عليها صفة الصنعة، ولا يربطها نسيج درامي فعّال، حيث كانت مواضيعها تلامس المشاكل ملامسة خارجية هامشية ولا تقدم الحلول الجذرية ..ولكن كان ذلك قبل أكثر من ستين عاماً، لذلك نحن نبارك لهم تلك المحاولات برغم تواضعها **!!**

لقد حدثت متغيرات كثيرة وتطورات جذرية حاسمة في الجانب الثقافي والحضاري في العالم ..بحيث أثر بسلبياته وإيجابياته على رؤية المثقف العربي والعراقي بشكل خاص ...وأنَّ تجارب الرواد التي نوهنا عنها قد أفادتنا كثيراً، عندما شخصنا من خلالها مواطن الضعف والخلل وأسباب الفشل **!!** وهذه حسنةٌ تُحسب لهم **!!** وعليه سنثبت رؤانا بالنقاط التالية: -

١- في مسرحنا – **المسرح الحسيني** ..علينا أنْ لا نستعمل عمود الشعر – كشكل أساس في الكتابة ..لأن القافية والوزن في المسرح قد تعطل الحركة في المسرح فمثل هذا الشعر يصلح للإلقاء في المهرجانات العامة ..ومثل هذا الشعر لا يستطيع أن يعطي ما يريده الكاتب بحرية ويسرٍ لأن القافية والوزن تجبرانه على الرضوخ لإشكاليتهما ! وتحدان من رؤيته الفنية ومقدرتها على الكشف والتجاوز ..لذلك ومن خلال تجربتنا المتواضعة – وجدنا ..أنَّ ما يسمى بالشعر الحر أو المرسل، هو الأصلح في هذا المجال ..وأنَّ – خببْ المتدارك – تحديداً – فَعِلُن- فَعِلُن – فَعِلُن – فَعِلُن – هو الأنسب تماماً لتوظيفه في المسرحية الشعرية ..لعفوية تدفقه وإنسيابيته التي تساعد كاتب النص على الإستمرار في التواصل والتوغل في عوالم الإبهار والدهشة.دونما حدودٍ أو قيود ..وبرغم أنَّ مثل هذا البحر – خببْ المتدارك – ليس سهلاً في التنفيذ إطلاقاً ..إلاّ إننا، والحمد لله – بمزيدٍ من الخبرة أصبحت عندنا تجارب وممارسات مكنتنا من السيطرة الكلية على هذه الإشكالية في الكتابة.حيث إستخدمنا – الخببْ – في جميع أعمالنا المسرحية التي جسدت المسرحية الحسينية.

٢- لّما كنا نكتب إلى مسرح رسالي ..لابدَّ أنْ تكون المعاني واضحة.وهذا ما نؤكد عليه دائماً – والوضوح لابدَّ أنْ يكون فنياً وغنياً بتأويلاته وأفكاره، ولابدَّ أن يكون الأسلوب سهلاً ممتنعاً.أي يتوفر على البساطة وقوة البلاغة وجزالة اللفظ، والمبدع الخلاق يستطيع الوصول إلى ذلك لأنَّ الشعر : صورةٌ نابضةٌ بالحياة وآهلةٌ بالمعاني الكبيرة.

لذلك فشل كثيرون عندما راهنوا على التراكم اللغوي الكمي الخاوي والخالي من المعاني الخلاقة المؤثرة، أولئك الذين إنطلقوا من مدارس بعيدة وغريبة عن واقعنا العربي والإسلامي، وقلدوا المدارس الغربية تقليداً أعمى ..فكان أنْ ماتت تجاربهم وهي في مهدها ..فقد إعتقد هؤلاء خطأ ..بأنه من السهولة أن يخوضوا في أية تجربة أدبية، بمجرد مقدرتهم على الكتابة ! إنَّ الكتابة موقف شامل من الحياة ..وليس ترفاً أو مجرد نزوةٍ يمارسها من يشاء ويهجرها متى شاء ..إنَّ أمثال هؤلاء لا ينتمون إلى حوزة المبدعين.

منذُ عام ٦١هـ وإلى الوقت الحاضر، كُتبت آلاف المجلدات عن النهضة الحسينية وبجميع أشكال الإبداع الأدبي والفكري، لذلك لابدَّ لكاتب النص الشعري، في المسرح الحسيني، أن يجتهد في تأسيس وخلق رؤى مؤثرة بحيويتها وقابلة للنمو والبقاء، من خلال توحد روحية الكاتب وإنصهارها مع جوهر القضية الحسينية والبحث في هذه القضية من جميع زواياها والإجتهاد في خلق كشوفات ونتائج قادرة على مواكبة تطور الحياة، لإثبات جدوى وقابلية هذه النهضة لتكون مدرسة حقيقية لجميع الأجيال، من خلال عطائها المستمر اللامحدود.وهذا هو سر عظمة وخلود هذه المدرسة المباركة.

إذن، لا تبدو المسألةُ سهلة التحقيق – لأننا لا نعوِّل – هنا – على التراكم الكمي غير المجدي ..بل نعوِّل على الإضافة النوعية ..، على الغنى والإثراء الروحي والفكري الخلاّق ..لذلك تجنب عددٌ كبيرٌ من الشعراء والكتّاب، الخوض في مثل هذه التجربة المتميزة، لصعوبة تحقيق إنجازات نوعية تضيف إلى المكتبة العربية والإسلامية ..وإنني أُحيي هؤلاء، لكونهم إنتبهوا إلى الأهداف الحقيقية المطلوبة منهم ! في حين تمادى بعضهم الآخر، وحاول أن يجتهد بمرجعيات خاصة به، وبعيدة عن جوهر القضية الحسينية، فإذا به يفشل، لكونه أدخل نفسه في متاهات لا تمتُّ إلى جوهر الصراع الذي نشأ بين البيت

العلوي المحمدي الرسالي وبين البيت الأموي السلطوي القمعي التحريفي.حيث حاول تسخير هذه القضية إلى قضية أخرى، فنتج عن ذلك إنْ قلت قيمة العمل الإبداعية، حيث لم تلقَ مثل هذه الأعمال، قبولاً وتعاطفاً من شرائح كبيرة من المجتمع وفي مقدمتهم عدد من العاملين في الوسط الفني، كونها إنحرفت بالهدف الرئيس ولم تبقِ منه، إلاّ أهميته التاريخية، فأصبحت مثل هذه الأعمال إضافات كمية يمكن أنْ يشار إليها من أجل البحث الأكاديمي، كمصادرٍ فقط.

إذن الصعوبة تظهر في إمكانية الكاتب على كتابة نصٍ إبداعي بشرط أنْ لا يبتعد عن جوهر القضية الحسينية، وأنْ يقدم الرؤى والصور الشعرية القادرة على تجسيد ذلك وتحقيقه من خلال الفعل الدرامي في المسرح أو في النص الأدبي وذلك ما نبرهنُ عليه – **إن شاء الله** – في القسم الثاني من هذا الكتاب، وهو القسم الذي نثبّتُ فيه نماذج من نصوصنا المسرحية – موضوعة البحث – ليطّلع القارئ على صحة مزاعمنا، حيث سيكون القارئ الواعي المدرك لجوهر الصراع، ماذا يريد الكاتب من خلال أعماله ..وخاصةً جميع هذه الأعمال كما كُتبت، في زمن الخوف والبطش والطغيان وقد أبقيتها على صيغتها السابقة، ولم أحاول أنْ اكتبها الآن بشكلٍ مغاير، لأهميتها الكبيرة عندي، ولكي أعرف مدى التطور الذي قد يحصل عندي في الكتابات اللاحقة إنْ سنحت الفرصة.

وفي هذا المجال أودُّ التأكيد بشكل مستمر من خلال تثبيت ملاحظة أسمعها من مجموعة كبيرة من الفنانين أو الكتّاب، عندما يؤكدون على ضرورة وجود فعل درامي على خشبة المسرح، لابدَّ أنْ يخلقه الكاتب، حتى وأن أدى إلى إقحامه في جسد العمل الأدبي، من أجل أن يقول المختصون، بأنَّ ذلك النص يتوفر على شروطه الدرامية المسرحية !!

إنني أستغرب من هذا الطرح، مع إحترامي لكل التصورات والتوجهات – وبخاصة في مثل مسرحنا المتخصص، المسرح الحسيني – العقائدي الرسالي.

إنَّ جوهر القضية، صراعٌ دامٍ منذُ ابتدائه وإلى الوقت الحاضر ..وهذا الصراع هو أساس الدراما !! وهنا قد يسال احدهم ..ومَنْ منا لا يعرف– **هذه القضية** –وكتب التاريخ مُلئت بها ؟؟

وهنا نؤكد باستمرار، ليتذكر أولوا الألباب – بأننا لم نكن في يوم من الأيام من كتاب التاريخ ..ولم نكن من الخطباء – الذين يريدون إبكاء الناس فقط، من خلال الإستنجاد بعواطفٍ ساذجة وغير واقعية !! إنَّ رؤيتنا واضحة ..وأهدافنا كذلك ..لكن إبداعنا – بعون من العلي القدير – سوف لن يتوقف ..وهنا يكمن سرّ عظمة المدرسة الحسينية – التي لا ينتهي عطاؤها أبداً ..!

إنَّ قضية اللعبة المسرحية وضرورة خلق الفعل الدرامي حتى وإنْ كان بائساً ومفتعلاً، هي من المسائل البسيطة جداً، وربما قد تكون من المسائل الساذجة ..وربما قد تصلح في مسارح من نوعٍ آخر وليس في هذا المسرح الذي يُراد له أنْ يتوفر على قيمة روحية وفكرية عالية، لذلك نكرر دائماً كلمة – الملحمة الحسينية – إنَّ كتابة الملاحم لابدَّ لها أنْ تتوفر على مستلزمات خاصة بها فقط.وهذه هي الإشكالية الكبيرة التي لا يريد أن يتصورها الكثيرون، لأنَّ عُنصر الإيمان غير متوفر في تصوراتهم ..أو أنه ينسى دائماً بقصدٍ أو بدون قصدْ ! ...

إننا نتكلم عن (**مسرح**) هذه هي صفاته ومميزاته وأهدافه، كما نراها – ويحقُّ للآخرين أنْ يقبلوا بذلك أو يرفضونه، فهم أحرار في ذلك ..

فكلٌّ ينهل من منهله – وكلٌّ له تصوراته – ويحقُّ لكلٍّ منا أنْ يطرحها، وخلاف الرأي لا يفسد للودِ قضية.

إنَّ تجربتنا في هذا المجال – قد أوصلتنا إلى هذه القناعات وهذه الرؤى وإنَّ كلّ ذلك حصل من خلال تفاعلنا المخلص مع قضية سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ ..هذا هو دلونا ..وننتظر من الآخرين الذين يؤمنون بهذا المنهج المبارك ..أنْ يدلوا بدلائهم خدمة للأجيال الحاضرة والقادمة.

طقوس المسرح الحسيني

لّما كان المسرح الحسيني، مسرحاً مرتبطاً بالدين السماوي المبارك - الإسلام – فإنه لابدَّ وأنْ يتوفر على طقوس تميزه ..حيث تطورت هذه الطقوس عبر التاريخ حتى وصلت إلى الزمن الحاضر وبالشكل الذي نراها سنوياً في مدينة كربلاء في الأيام الأولى من شهر محرم من كل عام والتي تعرف – بالتشابيه – إضافة إلى الطقوس الأخرى التي يسهم فيها المنبر الحسيني بشكل فعال في شرح تفاصيل الواقعة وكذلك، المواكب الحسينية لأهل المدينة التي تسهم يومياً على شكل – جوقات – تطوف شوارع المدينة، حيث تذهب إلى صحن العباس بن علي ﷺ ومنه تذهب إلى صحن الإمام الحسين ﷺ ليكون ختامها هناك.

ولكننا هنا نحاول تسليط الضوء على – المسرح الحسيني تحديداً – والذي يستند بطقوسه على، طقوس الواقعة.

إذن ..هنا علينا أنْ ننتقي بدقة ووعي وحسب حاجة المسرح المعاصر، من الأدوات ما نستطيع بها تنفيذ أعمالنا وتقديمها بشكل واقعي ومؤثر، ففي إنتقائنا للملابس

والإكسسوارات، لابدَّ أنْ نختار الملابس المناسبة وألوانها الموحية والتي تمثل طرفي الصراع، بحيث تكون الألوان السود والحمر والصفر هي الغالبة على بقية الألوان.كذلك لابدَّ أنْ تعكس الملابس حالة الزهد التي تميز بها الأئمة الأطهار وأصحابهم الذين أستشهدوا في كربلاء ..كذلك عند استخدامنا للمؤثرات الصوتية والإضاءة.

نعم ..إننا يمكن لنا أن نستفيد من الطقوس الشائعة والتي تـنفذ في شوارع المدينة بأساليب بسيطة وبدون تنظيم محكم وبدون وعي كامل بالأهداف المتوخاة من ممارسة هذه الطقوس التي من خلالها تجسد الواقعة.

صحيح، إن الجماهير المليونية تتعاطف مع هكذا طقوس، بل هي في الواقع تشارك أيضاً في أداء هذه الطقوس – بشكل عفوي – وصادق وبدون تكلف عندما تبدأ بالبكاء والصراخ والعويل ..وهي ترى، جوانباً من الواقعة تنفذ في مكانها الحقيقي من أرض كربلاء ..حيث يصل ذلك التعاطف حد الغلواء في أحيان كثيرة وحد التمادي في الأداء، مثل مواكب **(التطبير)** ومواكب السلاسل التي ترتبط بها **(السكاكين)** حيث تسيل الدماء الكثيرة من شدة الإنسجام والتوحد مع تلك الحالة المؤلمة ..وذلك الظلم الوحشي الذي تعرض له الإمام الحسين وأهل بيته الأطهار واصحابه الأوفياء الميامين.

ولكن هذا الأداء سلاح ذو حدين فالكثير من أعداء هذه المدرسة يحاول تشويه هذا الفكر الأصيل وهم يقدمون اللقطات الدموية من خلال قنواتهم – المشبوهة – لغرض الإساءة والتحريف والتشويه الذي دأب عليه هؤلاء الأعداء عبر التاريخ وبأساليب متنوعة وأن كان جوهرها واحداً.

....إننا – في المسرح – نستطيع مثلاً أن نستخدم الجوقات – الكورال – وأن نستخدم الموسيقى المناسبة وأن نركز مثلاً على – الطبول – والدفوف والـ **(النقارة)**،

حيث استخدمت هذه الأدوات في **عام ٦١هـ** في زمن وقوع الحرب بين الطرفين **..**كذلك يمكن لنا في المسرح أن نستخدم**(السمفونيات)** لعالمية كمؤثرات ضرورية لبعض المشاهد والأحداث – إنَّ الجمهور الكربلائي لن ينسى أبداً عام **١٩٩٨م**، عندما قدمنا مسرحية **صوت الحر الرياحي** على قاعة الإدارة المحلية، من قبل فرقة مسرح كربلاء للتمثيل، ذلك التأثير الفعال الذي أحدثته الطبول و **(النقارة)** التي استخدمت في بداية المشهد الأول من المسرحية، على جميع المشاهدين، حيث تفاعلوا مع أحداث المسرحية بشكل لا يصدق منذ البدء **!** وهذا يجسد تأثير وأهمية الأسلوب الواقعي في عرض هكذا أعمال – إضافة للأناشيد التي قدمتها الفرقة والتي لحنها – الملحن الموهوب المبدع – رحيم رباط – والمتأثرة بالطقوس الكربلائية العاشورائية البحتة**.**والتي ساعدت كثيراً على شد إنتباه المشاهد إلى درجة لا تصدق**.**

إنَّ النجاح المنقطع النظير الذي حققه عرض مسرحية **(صوت الحر الرياحي)** أذهل الجميع ودفع بالسلطة القمعية إلى قطع التيار الكهربائي على صالة العرض لمنعها من الإستمرار، إضافة إلى المضايقات الكثيرة التي تعرض لها كادر المسرحية وأقطابها الرئيسيين للحيلولة دون استمرار المسرحية، على الرغم من أنها كانت مجازة من قبل لجنة المسرح في بغداد وممولة أيضاً من قبلها **..**لكن تأثير العرض ونتائجه كان لا ينسجم وسياسة السلطة الدكتاتورية، التي كانت تقف بالضد من مثل هذه الأعمال الرسالية **..**إلاّ أن النظام كان مجبراً على ذلك حيث حاول من خلال تلك الموافقات، إمتصاص غضب الجماهير التي كانت تراه العدوّ الأول لمبادئ آل البيت الأطهار**.**

إنَّ هذا المثال يعطي الدليل القاطع على مدى تأثير الأسلوب الواقعي الواعي المنظم على إحداث التأثير المطلوب في المجتمع **..**إضافة إلى الأسلوب الجريء الذي توفر في

الحوار، حيث كشفت المسرحية عن الوجه القبيح للحكام الطغاة الظالمين ومعاداتهم للشعوب الحرة، في، كل زمان ومكان، والموقف البطولي من الحسين ﷺ وأصحابه ضد أولئك الحكام، إضافة إلى أسلوب المعاصرة التي توفرت عليه لغة المسرحية وروحيتها ومعانيها مما دفع بالسلطة إلى إيقافها فوراً كما قلنا.

لقد حققت مسرحية **(صوت الحر الرياحي)** أهدافها بأسلوب باهر ومؤثر، حيث ما زال الناس إلى هذا الوقت يتكلمون عنها وهذا ما نطمح إليه ونريده من جميع الأعمال الأخرى خدمة لأهداف ومبادئ آل البيت النبوي الأطهار.

إنَّ أكثر من ألف عام من التغييب المتعمد، والتشويه والتحريف لم تجد نفعاً، حيث ما يزال عشاق الإمام الحسين يتكاثرون ويواصلون عطاءهم وينتشرون في جميع بقاع العالم .

ولكن عندما يبدأ الأسلوب الأكثر فاعلية وواقعية والذي يتوفر على جوانبه العلمية والفنية من مدينة كربلاء المقدسة.مركز الإشعاع العالمي لفكر آل البيت الأطهار، فذلك له معانيه الكبيرة ودلالاته العظيمة ..حيث يؤكد هذا النهج بأنَّ هذه المدينة المعطاء التي أنجبت الآلاف من الأدباء والمفكرين والعلماء والمبدعين ما زالت تنجب الكثير ولن تتوقف عن العطاء لحظة واحدة ..هذا هو قدرها ..وهذا ما أنعم الله عليها ..وإنَّ الشجرة المثمرة ترمى بالحجر ..!

وهذه هي سُنة الحياة ..حيث يستمر الصراع بين الظالم والمظلوم وبين الحق والباطل إلى ما شاء الله.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

صدق الله العلي العظيم

القسم الثاني

نماذج

من بعض النصوص المسرحية

مع

تثبيت بعض الملاحظات الأُخرى

تتميز المسرحية الشعرية – عند قراءتها – بتألقها اللغوي، وسموها الروحي، كنصٍ أدبي يتوفر على الإمتاع، لما يحمله من إيحاءات خلابة توسع من مدارك المتلقي وتسحبه إلى مديات رحبة لا نهائية، حيث يتوغل معها ويتوحد مع رؤاها إلى نهاية الصفحة الأخيرة من المسرحية.

وهذا ما لا يحصل في النصوص النثرية بشكل عام، إلاّ ما ندر !! كون المسرحية النثرية تعتمد السرد الممل في كثير من الأحيان.

كذلك يتوفر الشعر على الإيقاع الذي يشدُّ المتلقي أكثر ...لكن هذا لا يكفي في رأيي المختص في شؤون المسرح، وإنَّ هناك إنقساماً في الرؤية حول كتابة المسرحية الشعرية ...فقسم من المختصين يعتقد بأنه يكفي أن نقرأ – المسرحية الشعرية – بعَدِّها نصاً أدبياً مستقلاً كالرواية أو القصة، بدون الحاجة إلى تمثيلها على خشبة المسرح – حيث تتحقق المتعة والإنبهار، عندما يكون القارئ هو – المخرج – حيث تكون تصوراته، لحظة القراءة، هي التي تحقق له ذلك – وهذا الرأي يتوفر على الكثير من الصدق والواقعية...ولكن هذا لا يكفي عند رؤية القسم الآخر الذي يرى بأنَّ – النص المسرحي – حتى وأن كان شعرياً يبقى ناقصاً وقاصراً عن العطاء الأمثل إنْ لم يمثل على خشبة المسرح حيث تضاف أليه الرؤى الفنية التي يدخلها – المخرج المسرحي – الذي يعَدُّ مؤلفاً ثانياً للنص، عندما يضيف رؤيته الفنية ويستخدم جميع المؤثرات التي يراها ضرورية للإرتقاء بالعمل وأداء الممثلين، الذين سيلمسون النتائج مباشرة من قبل الجمهور، حيث

ستمنحهم شحنة إضافية لتصعيد نوعية الأداء – إذا كانت النتائج – إيجابية ..والعكس سيكون صحيحاً إذا كانت النتائج سلبية!...وبأنني أميل إلى الرأي الثاني من خلال تجربتنا في تقديم مسرحية – صوت الحر الرياحي – وهو العمل الوحيد الذي مثل على خشبة المسرح حتى الآن وآمل في المستقبل القريب أن تمثل الأعمال الأخرى.

إنَّ خشبة المسرح، هي المحك الحقيقي للنجاح – وبخاصة عندما تقدم فيه – الملحمة الحسينية الخالدة – ولقد شاهد الممثلون كيف تفاعل المشاهدون مع الأناشيد والموسيقى التي أضيفت إلى النص المسرحي **(صوت الحر الرياحي) عام ١٩٩٨م**، بشكل لا يصدق.وهذا دليل على وجوب إضافة الرؤية الفنية لتجسيد الأفكار والرؤى على خشبة المسرح .وإنَّ هذه الإضافات الفنية لابدَّ أنْ تنسجم وتتوحد مع واقعية الأحداث بحيث تساعد على تجسيد وتصعيد الحالة الدرامية والوصول بها إلى ذروتها إنْ أمكن وإنَّ الذين سبقونا في الكتابة عن واقعة الطف ..وبرغم جهودهم المشكورة وبرغم ريادتهم أو ريادة بعضاً منهم ..إلاّ أنَّ الريادة وحدها لا تكفي إذا كانت مملوءة بالنواقص والمغالطات والطروحات البعيدة عن روحية النهضة الحسينية لدرجة قد تصل إلى حد التشويه – سواءً أكان ذلك العمل مقصوداً أم بدون قصد ..نقول أن جميع الكتابات وبدون إستثناء الجيد منها والمتوسط والرديء ..كانت محاولات مباركة ويشكر كتابها عليها ..ولكنها لم تكن تتوفر على منهجية شاملة كالتي اتبعناها في تنفيذ هذا المشروع الرسالي المبارك فالشاعر المصري المرحوم – عبد الرحمن الشرقاوي الذي كتب:

١ - الحسين ثائراً.

٢ - الحسين شهيداً.

وبرغم تعكزه على السيرة الذاتية على شخصية الإمام الحسين وبخاصة في الفترة التي خرج فيها سيد الشهداء من المدينة، إلى مكة المكرمة ومنها إلى العراق **...**فقد أهمل شخصية فذة مهمة وأساسية في الملحمة الحسينية وهي شخصية العباس بن علي عليهما السلام حيث لم يذكره إلاّ ببعض الأسطر البائسة، عندما قال عنه **:** بأنه خرج مع بعض بني هاشم لجلب الماء إلى العطاشى فقاتل حتى قُتل **!!** وهذا نقص خطير في أعمال الشرقاوي وعدم دراية كافية بحقيقة ما جرى يوم **العاشر من محرم عام ٦١هـ في كربلاء..**فالعباس بن علي عليهما السلام أخو الإمام الحسين عليه السلام وحامل رايته وهو الذي جلب الماء أكثر من مرة عندما شق صفوف الجيش الأموي، حيث كان عدد أفراد الجيش الأموي أربعة آلاف من الذين حاصروا نهر الفرات لمنع آل محمد صلى الله عليه وآله العطشى من الوصول إلى الماء **..**، نعم استطاع العباس بن علي عليه السلام أن يخترق حصار الفرات وأن يأتي بالماء إلى العطشى، أكثر من مرة ولذلك لُقب بـ **(ساقي عطاشى كربلاء).**وفي المحاولة الثانية أو الثالثة وهي الأصح – كما تذكرها غالبية الروايات أستعمل الجيش الأموي أسلوب الغدر لكي يتغلب على شجاعة وأقدام العباس عليه السلام**.**

ومن هذا المثال نؤكد على ضرورة توفر الكاتب المسرحي في المسرح الحسيني على الإلمام الشامل والكامل بجميع الأمور التي حصلت في ذلك اليوم الخالد**.**

وهناك من الأمثلة والأدلة في الكتابات الأخرى، تؤكد جميعها بأنَّ غالبية الكتابات، كانت مجرد محاولات، لم يجدّ كاتبوها في تطويرها وتوفير المنهج العلمي المتكامل لها**.**

في حين نحن – جاهدنا وحرصنا على أن يكون عملنا شاملاً متكاملاً **..**حيث كانت – بهجة الدماء في سِفر كربلاء والتي تتوفر على مسرحيات، تتكون من مشاهد وليست من فصول **..**وهذه المشاهد مجتمعة وفي جميع المسرحيات تكوّن نسيجاً درامياً

مترابطاً متصاعداً إلى حد الذروة ..ومن ثم يبدأ الأداء في الوصول إلى النتائج ..كما أن المشاهد لا تكرر الأحداث ولا تقحم الشخصيات في أوضاع غير واقعية وليست بذات أهمية أو ضرورة ملحة ..كذلك هناك عامل الخلق والتخليق لبعض الشخصيات والأصوات والتي بدورها هي الأخرى كانت تجسد شخصيات من رؤى الشاعر أو الكاتب المسرحي وجد أنَّ من الضرورة أن يكون وجودها فاعلاً ..كذلك أهتمت مسرحياتنا بأسلوب المعاصرة في الطرح وفي شكل الكتابة باستحضار شخصيات تاريخية وإستنطاقها لتؤكد على أن الصراع كان وما يزال قائماً وفي جميع العصور وإن اتخذ أشكالاً أخرى ..كذلك حاولت أن أقول كل ما كان يجول بخاطرنا، من المراحل السابقة والمرحلة الحاضرة المعاصرة وما يواجه شعوبنا العربية والإسلامية من محنٍ وظلمٍ وحيفٍ، وضرورة التصدي لحالات الوهن والقهر بالصبر والإرادة القوية والإقدام من خلال الثبات على المبدأ وتجسيد الإيمان باستمرارية العطاء اللامحدود وتقديم القرابين من أجل نصرة قضايا الإنسان العادلة .

إنَّ تجسيد كل ذلك يتطلب الجرأة في الطرح والإصرار على الكتابة بمسؤولية ووعي كاملين وبكل وضوح وبدون تردد.

فالصدق في الطرح أهم عامل من عوامل النجاح ! وهذا الصدق والإنحياز لا يأتي إلاّ عندما تتوفر حالة الإيمان المطلق.والإيمان يخلق السبيل الأمثل والأكثر تأثيراً عندما يتوفر على الإبداع الحقيقي فنياً وفكرياً وأن يكتشف المبدع وسائل في التعبير وأساليب في الطرح تؤدي إلى إقناع المتلقي.

إننا لابدَّ أن نكتب وننجز إبداعاً في المسرح الحسيني يكون بمستوى شخصية الإمام الحسين ﷺ حيث ذكرنا مواصفاته في الصفحات السابقة ..وأنَّ إبداعاً يراد منه أن يحاكي

الفكر الإنساني بجميع تنويعاته ومرجعياته الفكرية والثقافية، لابدَّ أن يكون إبداعاً خلاقاً، منفتحاً على الحضارة العالمية.لا يؤمن بالأفق الضيق والنظرة الأحادية وكذلك لا يؤمن بالعدوان وبالنظرة الإستعلائية ..

فأنَّ أكرمنا عند الله أتقانا ! ولا اكراه في الدين ..والناس سواسية كأسنان المشط ..

وعليه فأن هذا المشروع في الكتابة عن المسرح الحسيني وحسب معلوماتي هو مشروع رائد في الكتابة، حيث لم يسبقني كاتب عربي أو إسلامي أن جسد الملحمة الحسينية – بست مسرحيات شعرية تدرجت في حقائقها التأريخية وأضافت من رؤاها الشعرية لتستثمرها خدمة لهذا الإتجاه الرسالي الذي عاش في وجداننا منذ إنتباه الوعي ..وقد تجلى وسطع في نفوسنا وأرواحنا عندما صقلته الأدلة والبراهين فكان إن توحد مع دمائنا ووصل إلى مرحلة الهيام الباهر الذي تعجز عنه الكلمات مهما توفرت على معانٍ سامية ..ولهذا أيضاً ما زلنا نشعر بالحرج والخجل بعض الشيء ونحن نقدم هذه الرؤى وجميع أعمالنا المسرحية إلى المطابع لترى النور ولترفد المكتبة العربية ولتساعد الأجيال على مواجهة صعابها وأزماتها – من خلال أسلوب المدرسة الحسينية – نعم نشعر بالإحراج لإعتقادنا بأننا إلى الآن لم نقدم ما يؤكد قيمة الولاء والوفاء والإخلاص لمبادئنا سائلين العلي القدير أن يساعدنا على إنجاز المزيد من الأعمال وفي جميع أشكال الإبداع الأدبي الذي نذرنا أنفسنا أن نتعمق فيه إلى ما شاء الله لنا ذلك.المشاهد أو النماذج وستكون كما يأتي : -

١ - نموذج من مسرحية (**سِفر النور – مسلم بن عقيل**).

٢ - نموذج من مسرحية (**صوت الحر الرياحي**).

٣- نموذج من مسرحية (**سِفر الحوراء زينب**).

المشهد الأول من مسرحية (سِفر النور) مسلم بن عقيل

- بعد رفع الستارة – يبدو المسرح مظلماً، يعرض فيه فيلم سينمائي حيث نرى فيه احد الفرسان، يتقدم بفرسه، عبر الصحراء، صوب مدينة الكوفة، وهذا الفارس هو مسلم بن عقيل...

بعد لحظات يصل هذا الفارس إلى مشارف مدينة الكوفة ..يقف الفارس ليتأمل المدينة، ثم يتراءى له، بأنَّ جسداً ما قد صلب عند مدخل المدينة – وهذا الجسد بدون رأس....

ثم ينتبه الفارس على نفسه، بعد فترة التأمل ..حيث يواصل مسيرته بإتجاه المدينة، حيث ينتهي عرض الفيلم، بينما يبقى المسرح مظلماً...، ثم تسلط الإضاءة على راويين، يقف الراوي الأول على الجانب الأيمن من مقدمة المسرح...بينما يقف الراوي الثاني على الجانب الأيسر من مقدمة المسرح ...الإضاءة المركزة تتابع الراويين، كذلك في الوقت نفسه، يطاف برأسين محمولين على رمحين في أرجاء المسرح، حيث تلاحقهما الإضاءة المركزة، والرأسان هما ..رأس – مسلم بن عقيل ورأس هاني بن عروة .

الراوي الأول يخاطب الجمهور: -

قمرٌ، أضاء يقينهُ الأيامَ، فأنتبهت تلملمُ جُرحها
وتؤرخُ الأحزانَ مِن إشعاع طلعته، فأحيا ..، وهو
محمولٌ على سِفر الدماء، طقوسَ لهفتها !، وهامَ
النورُ في الطرقاتِ، يُوقظها

الراوي الثاني : ـ

أنا جئتكم وحدي، وقلبي مُسلمٌ لكمُ ...،

كتاب الله في كفيّ، وآلافٌ من الدعواتِ، كانتْ

تستحثّ الحقَّ أنْ يعلو ! ولكنَّ الخديعةَ أينعتْ

أثمارها،

فقطفتموا رأسي، وظلَّ القلبُ في جسدي

– برأس السوقِ[1]

– يتلو آيةَ الإنسان **..!**

الراوي الأول: ـ

أنا جئتكم وحدي، سِفر النور ...، هل

تخشونَ نوراً، تغمُرُ الطرقاتِ طلعتهُ

الراوي الثاني : ـ

قمرانْ ...كان البدءُ في قمرينِ، ثمَّ تناسلت

لغة الدماءِ وهامتِ الأقمارُ في ليل الطفوف

يخيم الظلام التام على المسرح، وبعد فترة قصيرة يظهر، مسلم بن عقيل على المسرح **..**المكان بدون ملامح – تُركز الإضاءة على مسلم أثناء تحركه على المسرح، حيث يدور حوار بينه وبين عدد من الأصوات**.**

---

(١) **رأس السوق:** المكان الذي صلب فيه مسلم وهاني – وهو سوق الكوفة**.**

صوت رقم (١) يخاطب مسلم بن عقيل : ـ

أقطافٌ في غير أوانهْ ؟ أم هو شوط تُمليه

عليك الأحداث ؟

ما تحسبهُ لم ينضجُ بعد ...، فتريَّث يا مسلم !

مسلم يردُّ :

لكنيّ ادركُ مولايَ ! فلقد قابلتُ كثيراً من أهل

الكوفة ..فرسائلهم مَلأت (يثرب)

صوت رقم (٢) :

لن يُغري مثلُكَ قرطاسٌ، مَلأتهُ أهواءُ التجار

هذي نزوةُ أهلِ الفتنه ...، مَلؤواَ قلبَ (عليٍّ) قيحاً

أفلا تذكر ؟

مسلم : ـ

كيف تغيبُ عن الذكرى، تلك المأساة ؟

لكنَّ مولاي أصرَّ على هذا الشوط...،

أفهلّ اتردُد، والفترةُ حبلى بالأحداث ؟

(ويزيدٌ) في الشام يخطط،

كي يقطف رأسَ أبن (الزهراء)

إنْ لم نُذعن لمشيئته

صوت رقم (٣) :

قلتَ الجوهر، يا بن عقيل !

رأس حسينْ، ألف وسيلة، تبذلها – الشام –

كي تحقق هذي الغايه

مُسلم : ـ

أهوَ المكرُ إذن، يحكمُ طوقَ مآربِه ..؟

لكني لم أخبرَ مولايَ بهذا الحال ..، وسنعطي للكوفةِ شوطاً آخر ..، وقتاً للصدقِ، وللتوبه !

لابدَّ وأنْ أمضي الساعة، أمضي،

حيثُ يبوحُ القلبُ، وتُشقى

الكلمات، ويُحلقُ في الروحِ نداءٌ،

برقت آياتُ فتوَّته ..

فتوثَّبَ وهّاجاً حتى صارت كلُّ دمائي تتعشقه ..

أمضي ..أستطلعُ آراءَ الناس، وصِدقَ الدعوه !

إنْ أنكرني أهلُ الكوفِة، أرجع

أحدُ الأصوات الثلاثة : ـ

مَنْ قالَ بأنَّكَ قد ترجع ؟

مُسلم : ـ

ورسائلهم ؟ أو ليست تلك مواقفهم ؟

الصوت السابق : ـ

قِرطاسٌ لا يُشبعُ جائع ! محضَ كلام

مُسلم وكأنه يتكلم مع نفسه، وهو يواجه الجمهور : ـ

وأنا ماضٍ، يتأهب إحساسٌ لإستقبال الفعل

المجهول

قدري حتَّمَ، أنْ أستقبل هذا الأمرَ،

بقلبٍ يَغمُرهُ النور

وإذن ..لابدَّ من الشوط القادم، من صولتِه، ...

من محنتِه، ...

من أسراره !!

قد تشقى النفسُ بعاهتها ..،

وتحاول نبذَ خطيئتها ..

فلنمنحها شوطاً آخر، إن كانت تبغي

التوبة عن فعل الأمس

يخيم الظلام التام مرة أخرى على المسرح لبرهة من الزمن، ثم يضاء قلب المسرح، فينطلق منه صوت مضخم، مع مؤثرات مناسبة.

الصوت : ـ

لا تدري نفسٌ ما تكسب ...، في غدها،

أو في لحظتها ...،، وكذلك

لا تدري نفسٌ، أينَ تموت

الناسُ كخيل طرادٍ في هذا المضمار ...

والسابقُ مَنْ كان أصيلاً

كلٌّ يسعى لصبابتِه ..، منهم، مَنْ ينزف يومه، ...كي يزدادَ يقيناً فوقَ يقين

يشقى، من أجل نداء يحتضن الدنيا، نوراً

وسناءْ

الناسُ كخيل طرادٍ ..الناسُ كخيل طرادٍ

ختام المشهد...ظلام

المشهد الأول أيضاً من مسرحية (صوت الحر الرياحي)

المسرح مفتوح، لكنه مظلم وبدون ديكور ...

بعد قليل، يُسمع صوت قافلة تتقدم تجسدها مؤثرات صوتية مناسبة ثم يتقدم موكب الإمام الحسين ﷺ من الباب الرئيس لقاعة المسرح حيث يدخل ويخترق الجمهور وهو يتجه إلى قلب المسرح ..أثناء ذلك يظهر شاب على خشبة المسرح وعلامات الحزن والتعب واضحة عليه، وهو يصرخ بأعلى صوته، محذراً، موكب الإمام الحسين من التقدم صوب الكوفة، لأنَّ الشاب كان في الكوفة وشاهد مقتل مسلم بن عقيل، وكيف غدر القوم به.

الشاب يصرخ، بينما القافلة تتقدم : ـ

لا تتقدم يا ابن رسول الله

لا تتقدم

قتلوا مسلم ! قتلوا مسلم قتلوا الكلمه !

جاء سفيراً للنور، إلى هذي الظلمه !

لكنَّ الأحقادَ إستقرت، وابتهجت أدران الأرض،

تنفثُ سمَّ الحقب السوداء، كي تدركَ أحلاماً ولتْ

وتمنيِّ النفسَ بعاهتها !

ناشدتك ربي، يا مَنْ تتقدم صوب المحنه

الرائد لا يكذبُ أهلهْ

لكنَّ الكوفةَ، أحيت سوءَتها ...،

وتوزَّعها مكرٌ أهوج،

فأنساقت خلف مآربها

خذلتك الكوفةُ يا مولاي ! ...لا تتقدم

لا تتقدم

بينما يتقدم الموكب إلى أن يختفي، يتكلم الشاب مع نفسه بصوت يسمعه الجمهور.

الشاب: ـ

قلبي يتمزقُ ألماً، يا بن عليٍّ

ويلٌ للعصر، بهذا الخسران الأكبر !

ثم يتقدم شيخ كبير من قلب المسرح، يتوكأ على عصاه وهو يتوجه إلى مقدمة المسرح ..هنا الشيخ، يمثل الحكمة والزمن.تسلط إنارة عليه أثناء تجواله في المسرح وأثناء حواره مع الشاب .

الشـيخ يخاطب الجمهور ليدخل في حوار مع الشاب ..

الـشيخ : ـ

(إنَّ الإنسان لفي خسر) ...

مذْ دبَّ الوهنُ برؤيتِه ...

كان عليه أن يستدرك كنه الكلمه !

الجوهرُ خلابٌ حتى، في دهشتِه،

في أحزانه !

والأرض تعاود محنتها !

قربانٌ يدركُ قرباناً

فاترك للحكمة موردَها،،

وترقَّب جوهرة العبره

الوقتُ كفيلٌ بالعبره ...

والأرضُ تدورُ كما كانت

الشاب يرد على الشبخ : ـ

لا أفقهُ ألغازاً يا شيخ

في صمتي بُركانٌ يغلي

وفؤادي أدماه الغدر

فأنخذلت نفسٌ، كانت تعشقُ غايتها،

وأنكفأت في تيهٍ مُرعب

الـشيخ : ـ

لا يا ولدي لا يا برعمَ هذي المحنه ..

عاصفةٌ تأتي وتمرّ

الـشاب : ـ

بل تأتي، كي تُحدثَ شرخاً بالسيقان

الـشيخ : ـ

فتجذَّر، كي يصلب عودكْ

وتجذر كي تنقذ نفسك

فالصبرُ، ونور الإيمان...

آياتٌ تشفي كلَّ جروح الإنسان

فتجذَّر يا ولدي

ظلام**.....**ختام المشهد

المشهد الثامن والأخير من مسرحية (سـِفر الحوراء زينب عليها السلام)

بعد مرور ثلاث سنوات على واقعة كربلاء، حيث حكم يزيد بن معاوية في تلك السنوات، **٦١هـ، ٦٢هـ، ٦٣هـ**، قتل فيها في السنة الأولى الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته وأصحابه الأبرار في كربلاء **..**والسنة الثانية رمى **(الكعبة المشَّرفة)** بالمنجنيق وفي الثالثة إستباح المدينة **(المنورة)** كل ذلك من أجل أن يطفئ نور محمد وآل محمد الذي هو نور السماء**.**

المسرح شبه مظلم، يُشاهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان وحيداً على المسرح – في مكان بدون ملامح وهو في حالة من البؤس والشقاء **..**أو في حالة احتضار **..**يزيد يكلم نفسه أولاً ثم يستمع إلى صوتين، كان قد تحاور معهما في وسط المسرحية – ثم يعود ليكلم نفسه بصوت مسموعٍ، يسمعه المشاهدون، طيلة المشهد الختامي **...**

يزيد الطاغية : ـ

أدركتُ الآنَ رياءَ المُلك ...،

أدركتُ الآنَ عذاباتهْ

يحسدني الآلاف، ولكن ...،

مَنْ منهم يعرفُ ألوان عذابي

صوت (ب) : ـ

هذا ما كنّا نخشى منه !

قُلتُ : تَمسكْ بمسار أبيك ...،

لكنَّكَ خالفتَ الحكمـه

والآنَ تفرِّطُ في مُلك (أُميّه)

صوت (أ) بردِّ فعلِ عصبي يكلم يزيد : ـ

لا هذا لا يمكن أبداً !

لا تقتل أحلاماً حققناها بعدَ مشقه !

بعد زمانٍ صعبٍ ولى ! ...،

والآن علينا أنْ نجني ..فلماذا

هذا الحزنُ ؟ ...لا تخشَ شيئاً، لا تخشَ ..

أهجر هذا الهاجس،

وتمسك أنتَ بما حققتْ ! ..

ودع الأمر لحزم النخُبه

فعلامَ الخوفُ وأنت (يزيد) ..

سيد هذا العالم، دون منازع !

لا كابوسَ، ولا أوهامَ ولا أحزانَ ..

فامضِ قدماً

صعِّد من حالات حبورك، وأعلن نصركْ ...،

كي تحتفل الناسُ وتُذعِن ...،

إنكَ ما زلت الأقوى

في هذا العالم ...، وستسحقُ كلَّ الأعداء !

يزيـد : ـ

هذا العرشُ، كسيف (دمقلس)،

مذْ عاقرتُ سرابه ...،

وأنا لا اعرفُ طعم الأمن !

يُرهبني في أحلى لحظات غروري ! ...،

ويُذكرني بعذاب الموتْ،

بغيابِ المجد...، كان الأجدى أنْ لا آتِ لمدائنكُم

جدبُ الصحراء ...، وقساوتها،

أرحم عندي من هذا العرش

من ترف لا لذةَ فيه ..، ترفٌ ممزوجٌ بدماء الناس

تترصدني كلُّ دماء القتلى

مذْ عاقرتُ الصحراء ...لم أفقه في دينٍ –

أو حتى في بعض الحلم ! ...

غرتني القسوةُ فاشتعلتْ، في أوردتي،

أدران القوة، في المسلكْ ! وظننتُ بأنَّ الأمرَ

بسيطٌ !! أقتلُ في لحظة غدرٍ !! ..وأنا محروسٌ

ومصانٌ !! ..آلافٌ تحمي آثامي ...

آلافٌ من دجالين

وأشباه رجالْ ...، عرفوا نقطة ضعفي ...

عرفوا نزوات جنوني !!

فأرادوا تعميق المأزق ...، كي أُستنزفْ..، وأكون

مطيّة منهجهم ....،

كي تتحقق كلّ مطامعهم، في صفقه

وأكون أنا المسؤول الأول، عن ظلم الناس

فأنا الحاكمُ، في نظر الكلّ

لكنَّ (مروان) وآلافٌ من أوغادِ (أميّه) ..

تعبثُ بإسمي ..! تقتلُ بإسمي ! تنهبُ بإسمي ..

وتبجِّلُ نهجي، في كلِّ صباح !!!

فلمن أشكو همي ؟ وأبثُّ شجوني ؟؟

الصوتان معاً : ـ

لكنْ

يزيد يقاطعهما بغضبٍ، ويستطرد : ـ

هذا يكفي ! ..، يكفيني ما آل أليه مصيري

يكفيني ما عانيتُ، من دجلِ النخبة !

عاقرتُ الخمرةَ، كي أنسى

أحرقتُ الكعبة ..كي أنسى

وسبيتُ مدينة – أحمدَ، كي أنسى !

لكنَّ الخوفَ، تفاقمَ في كلِّ كياني ..

والآن بودي أنْ، أهجر كل الناس

أين قرودي ؟ أين كلابي ؟

أتمنى أنْ أخرج في رحلة صيدٍ، لا عودةَ فيها !

الآنَ بدأتُ أحسُ بثقل خطاي وبثقل التدليس

الأموي

أمسى عبئاً، يقتل فيَّ اللذة

شَركاً لا مخرجَ منه !!

ما جدوى نهج الآباء !!؟ ونداءُ (محمد) يعلو

كلَّ الآفاق

ينتشرُ كما الضوء الباهر !

سنواتٌ ولت في لحظة ..وكأنّا لم نفعل شيئاً

حربُ الداخلِ، هتكت سر التحريف !

فكُشفنا للناس

لم تبقَ لنا غيرُ النكبات المرتقبه ...فأنتظروها !

فليُنجيكم مَنْ ترجون الأمنَ بظله

لكن ...مَنْ يأتي بعد، قد يدركُ ...

وسيدركُ بالتأكيد،

مَنْ لا ينصاع الآن !

الأجدى أنْ أرجعَ من حيث أتيت

أهربُ من هذا الكابوس ..،

وأعودُ إلى الصحراءْ ..

كي أدفنَ نفسي في الخمرة ..فهي ملاذي !

حتى لا اعرفُ ما يجري حولي ...،

سأعاقرها حتى آخر لحظة،

كي أهربَ من نظرات – حسين -...

أهربُ من نظراتِ جميع القتلى

إذْ صارتْ ترهبني !

أصبحتُ أخافُ من الآتي !

أصبحتُ أخافُ من اللاشيء !!

أيةُ نأمه ...، تُرهبُ جسدي

تُلهبني كالسوط الأعمى ! ...فأبتعدوا عني،

كي تهدأ روحي

أصبحتُ ككلبٍ مسعور، يركضُ ظمآناً،

خلف سراب

ألهثُ، ألهثُ، ألهثْ !

أدركتُ الآن رياء المُلك! ..

بل أدركتُ مصير الدنيا،

بعد فوات الوقت

لا تُحزنني آثامي، في هذي اللحظة ..

فلقد عُلِّمتُ على هذا المسلك

ونشأتُ لأجله ! ...لكنَّ عذابي من لونٍ آخر

فلكلٍّ منّا سوط عذاب !

تعجزُ لغتي عن ترجمةِ الإحساس الآن !

إحساسي في هذا الموقف، هذي الحاله ..

أشعرُ أنَّ الوهنَ بدا يفعلُ فعلتهُ ! ...

ودبيبُ النخرِة،

أوغلَ في العظمْ ! ...فاستسلمتُ لشقوة روحي

أشعرُ بالبردِ الآن، يُفتتُ أوردتي !

أشعرُ بالغثيان !

فدعوا نفسي لهواجسها ..، علَّ المحنة تمرقُ

منها

أو تُجهضُ أحلام جنوني

ظلام.....ستار

أرى من المناسب هنا أن أثبّت الدراسة النقدية التي كتبها الناقد الراحل الأستاذ لواء الفواز عن المسرحية الشعرية – صوت الحر الرياحي – كنموذج لرأي النقد إزاء هكذا إنجازات ..وهذه الدراسة كان الناقد المبدع الراحل قد قدمها ضمن أمسية من أماسي إتحاد الأدباء والكتاب في محافظة **كربلاء عام ١٩٩٦م** حيث كانت الأمسية مكرسة – للمسرحية – ولكاتبها.

وقد نشرت هذه الدراسة **(جريدة الهدى)** الكربلائية في عام **٢٠٠٥م** في العددين السادس عشر والسابع عشر، إعتزازاً بالأديب والناقد المبدع – الشاب – الراحل الذي رحل قبل أوانه في حادث مؤسف، والذي كان يعدُ بالكثير في مجال النقد والإبدَّاع ..وكان أستاذاً في جامعة كربلاء.

عنوان الدراسة:(صوت الحُرّ نموذج أمثل، للثورة على النفس).

يبقى عمل مؤلف الدراما الشعرية، محفوفاً بالمخاطر والمجازفات، لا يقدم عليه إلاّ مّنْ أوتي جرأة مستفزة، على الدوام، لا يحسد عليها كثيراً، لكنها محسوبة له في النهاية، فجرأته تكمن في توظيف الطاقة الإيحائية والتعبيرية للشعر، كما تكمن في قوة فهمه لحركة الصراع ومستوياته في العمل الدرامي والمسرحي.ذلك أن مؤلف الدراما الشعرية (يجب أن يعمل على مستويين دراميا مع شخوصه، ومع موضوع مسرحيته.ومن الخطأ الفادح أن يظن بأنه يمكن أن يحقق نجاحاً في ذلك بأن يدفع المسرحية إلى الأمام عن طريق تفجير طاقات الشعر وحده) (١).

في مسرحية الأخ الشاعر(**رضا الخفاجي**) الشعرية (**صوت الحر الرياحي**) نحاول معرفة ما إذا كان الشاعر قد حقق هذه المعادلة الصعبة أم لا – على المستوى الفني

– كما سنتعرف على قيمة العمل الفكرية، حتى نمسك بطرفي المعادلة على نحو أكثر إكتمالاً في المنظور النقدي.

القيم البنائية والفنية : ـ

المسرحية ذات الفصل الواحد، وقد قُسم إلى خمسة مشاهد، وهي من البحر المتدارك أو الخبب ما عدا الرجز في نهاية المشهد الأخير.وقد ذكر العروضيون إنَّ المتدارك هو ثمان تفعيلات على وزن **(فعلن)** (أكثر ما يصلح لايراد نُكته أو محاكاة وقع مطر أو قعقعة سلاح أو زحف جيش وهو قليل في أدبنا القديم والحديث) **(٢).**

وفي هذه النقطة نجد الشاعر قد وُفق في إختيار الوزن الملائم لروح العمل المسرحي ومضمونه، كما أنه وُفق في اختيار الشخصية التي تصلح لأن تكون موضوعاً لعمل درامي كالذي نحن بصدده.فشخصية الحر الرياحي – شخصية تتميز بالنمو المتصاعد أثناء حركتها في الواقع بنفس القدر التي إمتلكت فيه صوراً متموجة من الصراع النفسي الحاد، وعلى ذكر موضوع الصراع المؤثر أو المتدرج والذي يبدأ من مستويات بسيطة ثم يتصاعد شيئاً فشيئاً حتى يصل ذروة الإزمة فيكتمل بذلك البناء الداخلي للعمل الدرامي.

إنَّ اكثر حورات بطل المسرحية **(مونولوجات)** أي حورات داخلية كشفت عن صراع نفسي يتنازعه بمرارة.وقد تحدد بشكل أكثر وضوحاً في سلوك التردد الذي أبداه البطل من أجل أن يتخذ الموقف الصحيح والمطلوب، مما يعني إن هناك حيرة نفسية عاشها البطل سنتكلم عنها لاحقاً عند الحديث عن القيم الفكرية في النص ...لقد كانت أغلب الحوارات من لسان البطل حين يحاور نفسه أو أثناء الحلم – كما في المشهد الثاني – أو تنطلق من **(الصوت)** الذي أوجده المؤلف كتكنيك فني مسرحي ليبرر من خلاله التغيير الذي يطرأ على مواقف البطل أولاً وليسقط من خلاله أفكاره الخاصة التي يريد لها

أن تصل – إلى المتلقي، ففي المشهد الثاني يظهر الحر على المسرح نائماً وهو يحلم فيدور حوار بين الحر والصوت:

الصوت: ـ

لن تُترك يابن رياح حتى تدركنا،

الموعد جدٌّ قريب

الحُرّ:ـ

لكني لم أعرف أحداً منكم...وكذلك لا ادري الساعة، أين أكون ..؟

يقول الشاعر : إنَّ الحر يستيقظ باندهاش، ثم يحاول التركيز على تفاصيل الحلم، فيقول الحر مع نفسه:

يأمرني أبن زياد أن أمنع موكب آل علي،

والصوت يبشرني في أحضان الجنة

أتراها خذلتنا الأيام فصرنا، لا نعرف كيف يكون العدل، أم خذلتنا نفس وجلة ؟

يقول الشاعر في المشهد ذاته: إن الحر يستيقظ من النوم بعد أن أدركه الفجر فيحاور نفسه:

هل يعقل أن يتكرر هذا الحلم الآن ؟ حيرة نفسي لا أنكرها **..**لكن يبدو أن الأمر كبيرٌ جداً**..**ولكي أختار، لن أسرع في فعل أخرق**.** فيعود إليه الصوت في اليقظة هذه المرة قائلاً له:

الصوت : ـ

الأمر يعود إليك، حرٌ في الدنيا ستكون،

هذا مفتاح الخلد إذن بين يديك !

إنَّ المؤلف يواجه من خلال نصه الدرامي مسألة نقل أحاسيسه بأهمية الفعل الدرامي على خشبة المسرح عبر لسان الشخصيات، فكان أسلوب وضع الصوت أو فريق الكورس والمنشدين، من الوسائل الفعالة التي أستخدمها لنقل آرائه على لسان الصوت أو الممثلين المنشدين في المشهد الأخير والذين أسماهم بـ**(الجوقة)** فجاء على لسانهم**:**

الجوقة : ـ

لتكون الحر، لابدَّ لصوتك أن يعلو، أن يرفض ألوان القهر، أن لا يرضخ ...ألخ

إنَّ كل شيء في الفن عموماً والفن الدرامي والشعري على نحو الخصوص إنما هو تمثل أو إستيعاب متبادل **(** فحين نجد الشعر يجعل الأداء المسرحي أكثر تكاملاً وثراءً، فإننا نلاحظ إنَّ المسرحية التي أغناها الشعر قد جعلت منه هو الآخر أكثر درامية **) (٣).**

ولذلك يمكن القول بأنَّ التأثير هنا، إنما هو تأثير متبادل وليس ثمة طرف متلقٍ وآخر صانع للفعل وهنا بالضبط يكمن النجاح الذي أصاب مسرحية **(صوت الحر الرياحي)** للشاعر رضا الخفاجي، ففي مسرحيته هذه يكون الشعر قد برر وجوده دراماياً على حد قول ت**.**س**.**إليوت**.**

وتجدر الإشارة إلى أنَّ لغة النص قد جاءت بسيطة منسابة، ملائمة للعرض المسرحي تماماً، فلم يعد يعمد المؤلف إلى إستخدام جزالة الألفاظ أو تلك اللغة التي تمتاز بالفصاحة في مستوياتها العالية والتي كانت سائدة

في العصر الأموي، وقت حدوث ملحمة الطف – مما يجعل المؤلف يقترب بنفسه من روح عصره وأنْ إستخدم مفردات التراث الروحي لتأريخه العربي الإسلامي.

لقد جعل المؤلف نهاية مسرحيته مفتوحة تفضي إلى دلالات لا تخفى على المتلقي النابه، إذ لم يعمد فيها إلى تصوير مشهد قتل البطل وموته ..بل اكتفى بذهاب البطل إلى المبارزة مع الأعداء وأجرى – الرجز – على لسانه وأنزل حوار الجوقة في خاتمة المسرحية كإشارة بليغة إلاّ أن الحر الرياحي لم يذهب إلى حتفه بل سار إلى حياته الأبدَّية في مجلس الخلد.وهي نهاية موفقة تنسجم وطبيعة إيمان المؤلف وعقيدته التي تتغلغل في أعماقه، وهذا ما سنراه عند الحديث عن القيم الفكرية للنص.

القيم الفكرية : ـ

تبقى شخصية الحر الرياحي من الشخصيات التاريخية مضرباً للمثل في اتخاذ الموقف المشرِّف في لحظات المواجهة أثناء الصراع بين الخير والشر كما أن سرعة التحول في القرارات هي التي ميزته وكشفت للأجيال مدى دقة ذلك الخيط الذي يفصل بين الحق والباطل، وبأنها الشخصية التي حفظت في ثناياها صراعاً يصلح موضوعاً للتفلسفِ أكثر منه موضوعاً للأعمال الأدبية المميزة، كما كشفت عن دراميتها من خلال حركتها لحظة الصراع الذي واجهته.من هنا كان المؤلف مصيباً في اختيارها موضوعاً لمسرحيته بسبب من إمتلاكها عناصر الفعل الدرامي الصحيح.وإذا كان من السهل ان يتعرف المتلقي على الأفكار الجريئة المتناثرة هنا وهناك في مشاهد المسرحية.فأنَّ إستجلاء فكرة النص الكبرى والتركيز من خلالها على رؤية وفلسفة المؤلف أمرٌ ليس بالهين، لأنَّ المطلوب في هذا المقام هو التدليل وإلتماس الحجج وكشف ما قارن أفكار المؤلف بأفكار الآخرين الذين أثروا التراث الإنساني بتأملاتهم.إذا كان الإمام الحسين ﷺ ثورة على الواقع.فأن شخصية الحر

الرياحي نموذج ممتاز للثورة على النفس ومغريات الظرف الذي تعيشه، والثورة، تلك كانت **(فعلاً)** بالمعنى الفلسفي للكلمة تخطّى تناهي الشخصية ومحدوديتها ودخل حيز البقاء التاريخي بسبب من إنتشاره وإستمراريته عبر الأجيال، فأصبح فعله **(**رسالة**)** أستقرأها المؤلف الشاعر رضا الخفاجي جيداً وحاكاها بتأملاته الخاصة والنابعة أصلاً من إيمان واعٍ بمفردات عقيدته الإسلامية**.**لقد رسم لنا المؤلف سمات بطله رسماً جميلاً وعرفنا أنَّ الحر ليس شخصية عابرة تلتقط النافل من الحياة بل هو شخصية جادة متأملة واعية بنفسها ولما يدور حوله وله من خصال مميزة جعلته معتداً بنفسه واثقاً بقدراته حدَّ النرجسية **.**

يقول الشاعر في المشهد الثالث على لسان الحر :

منذُ صباي ..ما كنت أجالس أهل السوقِ،
لم أفقه في بيع وشراء، أعشقُ فرسي،
وأهيمُ بها في صحرائي ..
أبغي نشــوة روحي،
لم يلجمني سوطُ نداءٍ ...
ما كنتُ سوى حُرٍ يسعى،
كي يستنشق طيب الصحراء
يستجلي كنه الأشياء
...، لم يخذلني حدسي أبداً،
كنتُ أميز بين الأضداد ،
إقدامي يسبقُهُ، صدقي !

وولائي يسبقُهُ عشقي،

والفوز معي في كل لقاء.

ولأجل ذلك يراه الصوت الذي أدخله المؤلف، كائناً قادراً على إرساء دعائم المثل العليا في الحياة من خلال قيامه بفعل خلاقٍ يُدخله روض البقاء إلى الأبدَّ، **يقول الصوت مخاطباً الحر :**

الفعلُ الخالدُ لا يعرف أي حدود،

إنْ حررت النفس من الأفكار الحبلى بالأوهام

وعبرت الخوف، وعبرت إلى الضفة الأخرى

ستحسُ بأنك تسمو في المطلق أبداً ...،

وهنا يكمنُ سر الخلد

الصوت إذن يريد من الحر أن يعبر إلى الضفة الأخرى بفعله الخلاق، لا أن يبقى متكاسلاً على الشاطئ يستعرض مهارته على جرف الحياة دون الغمار، ومن هذه النقطة سوف نتعرف على فلسفة المؤلف في المسرحية، ذلك أن الشخصية **(** الفاعلة **)** هي التي تعمل على تدعيم عالم القيم البشرية، لأنها بفعلها الرائد **(** ستحرر الذوات الأخرى وتوقظُها من سباتها لتجسم المثل العليا في الوسط الإجتماعي وبذلك سوف تعمل على تقريب شقة الخلاف بين الواقع والمثل الأعلى**)**[١]**.**

---

(١) مشكلة الحياة للـــ د.زكريا إبراهيم/ ص ٧٥.

لكنَّ الفعل المطلوب بنظر المؤلف له مقدماته التي تحققه على أرض الواقع، ولأجله فهو يرسم لنا ثالوثاً يعدّها ركائز الفعل التاريخي المتخطي لآنيته الزمانية وآنيته المكانية، هذه الدعائم هي : الفكر، الحرية، القرار.

فطالما كانت الشخصية الإنسانية متأملة مفكرة واعية بذاتها، وحيثما كانت ترتفع بحريتها تشعر بانفلاتها من كل قيد رخيص، حينذاك ستقوى عندها إرادة القرار، فيتجسم (الفعل) في الحياة في أبهى صورة، وعلى الرغم من تناهي الموجود البشري ومحدوديته فأنَّ أصداء فعله المبدع سوف تتسع حتى تشمل مجرى الأحداث الكونية والبشرية في كل مكان، وهذا بالضبط ما عناه أحد الفلاسفة المعاصرين حين قال : (إنَّ كل فعل هو نقطة تحول في مسار التاريخ الشامل).

يقول الشاعر في المشهد الثاني على لسان الصوت مشيراً لدور الفكر في اتخاذ الموقف:-

المرء يكون حيث تريد له أفكاره، يبحرُ معها، يوغل في كل دقائقها، تتلبسه، يتلبسها،...الجوهر، أنك كيف تعيش بأفكارك ...، كيف تجذرها في قلب الناس، حتى تخلد يا حُرّ .

يؤكد الشاعر في المشهد نفسه على دور الحرية وأهمية إنطلاق النفس من كل أشكال القيود وأسار الشكوك والحيرة التي تتلبس الشخصية،

فيقول الصوت : -

الفعل الخالدُ لا يعرف أي حدود، إنْ حررت النفس من الأفكار الحبلى بالأوهام وعبرت الخوف ...الأمر يعود إليك، حرٌّ في الدنيا ستكون، هذا مفتاح الخلد إذن

لكن يأبى التردد أن يفارق نفس – الحر – فيحاول بطلنا إمساك العصا من الوسط ليريح ويستريح، لكن هيهات ففي مواجهات الحياة الكبرى تُمسي أنصاف الحلول قرارات مُستخزية وتوسم أصحابها بالضحالة، وهذا ما نراه في المحاورة التي تدور بين الحر والصوت في المشهد الثاني نفسه :

الحرّ : ـ

لا يمكنني أنْ أتخبَّط في الظلمات،
والآن تناجزني رؤياي، بل كلُّ دمائي
تتبرأ مني، إنْ وافقتُ إبن – زياد –
إنْ كفَّ حسينٌ عن هدفه...
أخليتُ سبيله في الحال

الصوت : ـ

إنَّك أكبرُ من هذا الموقف يا حر،
فاترك للنفس سجيتها، وتقدَّم كي
كي تنجز دورك

وفي المشهد الخامس تهيمن شخصية الحسين ﷺ حتى لتطغي على مجريات المشهد كله والمؤلف هنا يولي إهتماماً كاملاً لدور القائد النموذج أو المثل الأعلى في الحياة، فيصبح فعل الحسين عليه السلام وقوله شمساً تستمد منها الكواكب نورها لتعكسه على الآخرين ويصير الفعل الحسيني محفزاً فاصلاً لقرار **(الحر)** وفعله فتنسجم المواقف عند أصحاب النفوس الكبيرة وتتناغم فيما بينها، لتستمع إليها الأجيال في خشوع وإنبهار.**وحين يقول المؤلف على لسان الحر في المشهد الرابع متحدثاً مع نفسه : -**

عجبٌ أمرُكَ يا بن علي، جئنا نمنع عنك الماء،

فتقوم بإسعاف العطشى ! هذا فعلٌ قل نظيره،

هذا فعلٌ يستوقفني ...لكني لا استغربه !

فأنا لا أتجاهل خصمي أو أجهلهُ

يعود المؤلف ليقول لنا في المشهد الخامس على لسان الحر أيضاً : -

يُبهرني إبن الزهراء ..

فعلُ حسين يسلبُ مني تبريراتي

وهذه لحظة حاسمة في موقف **(الحر الرياحي)** ذلك أن الفعل الحسيني قد قام بدور المحرك الفعال أو المؤثر القوي في ساحة المواجهة التي ضمت شخصيات عدة كان المتميز منهم **(كالحر)** على إستعداد لتفهم دلالة ذلك الفعل – إنْ لم نقل بأنه قد وقع تحت تأثيره – فعمل بدوره مترسماً خطاه **...**وإلاّ فما معنى أن يخاطب الإمام الحسين عليه السلام المجتمع الذي أمامه **بقوله : -**

هل من حرٍّ آخر يبدل عار الموقف،

بأناشيد الخلد ؟

وهكذا ينزل قرار **(الحر الرياحي)** كالصاعقة على الخصوم ليلقي الحجة عليهم وعلينا نحن أيضاً، فيذكر الشاعر على لسانه في نهاية المشهد الأخير **: -**

الحرُّ : -

كي تسعد روحي يا مولاي، لابدَّ لها من فعل

يدرك نشوتها، ولكي تكتمل النشوة في قلب الحر، سأكون البادئ بالإيثار، سيكون دمي إيذاناً للبذل بهذا اليوم المشهود، فلترخصني يا مولاي، ولأبدَّأ سِفري في الحال

ويذهب **الحر** إلى اختياره مترنماً بخطى فعله وفراره راجزاً نحو الجنان بهذا **القول: -**

إني أنا الحرُّ وهذي المحنة

أقحمها في زحمة الأعنة

والله لا اختار غير الجنة

لقد أصبح قرار الحر وموقفه بمثابة رسالة وجهت إلى كل مَنْ يستطيع الفهم والمعرفة والإرادة إضافة إلى أنها حملت في طياتها **(شعلة روحية)** تلتمس الفهم والإستجابة ورد الفعل من الآخرين عبر أجيال التاريخ .

حقاً إستطاع المؤلف الشاعر **(رضا الخفاجي)** في مسرحيته الشعرية **(صوت الحر الرياحي)** أن يؤكد بإقتدار مشهود له أن الشعر الدرامي وحده **(**يمتلك الإمتياز الفريد لأن يرينا عدة مستويات للواقع في آنٍ واحد**)**[١]**. (٥).**كما فلسف لنا الفعل الإنساني المبدع بشكل لا يقل مهارة عن أروع تأملات وأفكار كبار الفلاسفة والمفكرين على السواء وهذا ما يدعو للفخر والأمل في سلامة مسار الحركة الأدبية عندنا**.**

---

(١) في المسرح الشعري للـــ د.عبد الستار جواد/ ص٦.

ملاحظة: بقية المصادر سقطت سهواً عند نشر هذه الدراسة في جريدة الهدى ...، فنقدم إعتذارنا نحن بدل الجريدة

الخاتمة

المدرسة الحسينية الخالدة – منذ نهوضها وإلى الوقت الحاضر ..أصبحت مدرسة حياة شاملة، حيث رفدت وما زالت ترفد الأجيال في كل بقاع العالم بعطاء لا ينضب...والمسرح الحسيني الذي نبشر به وندعو أليه يُعَدُّ وسيلة من وسائل هذه المدرسة المباركة، حيث يتوفر هذا المسرح على فاعليته وقوة تأثيره من منظومة الأفكار الخلاقة التي تتوفر عليها مدرسة سيد الشهداء الإمام الحسين ﷺ والتي تستمد شرعيتها وفاعليتها وقدسيتها من جوهر الإسلام النبوي الصحيح، الذي لم يستطع أعداؤه أن يشوهوه برغم جميع محاولاتهم المحمومة والمعروفة عند عامة المسلمين.وكما بينا في فصول هذا الكتاب نؤكده مرة أخرى، بأن هذا المسرح المبارك يهدف إلى تقديم النموذج الأمثل من المبادئ والأفكار التي لو أتيح لها أن تحكم هذا العالم، لقادته بالتأكيد إلى مراقي السعادة والازدهار والتقدم الحقيقي الذي يحقق طموحات بني البشر كافة ..لذلك فإننا عندما إخترنا هذه الوسيلة ندرك تماماً بأنها لابدَّ أن تتوفر على أساليب راقية في التعامل والأداء الحضاري ..ولكي نبتعد عن جميع الطروحات الشاذة المغالية التي قد يمارسها بعضهم أثناء تأديته لمثل هذه الطقوس المباركة، ولكي نسحب البساط من تحت أقدام الأعداء الذين يتربصون بنا الدوائر كي لا يعاودوا ممارسة التشويه والتحريف الذي هو شغلهم الشاغل..وكذلك لنثبت للجميع أيُ فكرٍ إنساني خلاق ذلك الذي توفرت عليه عترة رسول الله ﷺ حيث وصل الإسلام بذلك الأسلوب والممارسة إلى جميع بقاع العالم، حيث عشقته وآمنت به الملايين.

كذلك في الوقت نفسه نريد أن نثبت للمشككين بأنه يوجد مسرح متخصص يسمى المسرح الحسيني له سمات ومميزات خاصة به ..كذلك يتوفر على مشتركات مع المدارس المسرحية الأخرى ..مثل المسرح الرسالي أو المسرح الملحمي.

إن هذه الملاحظات والعناوين التي ثبتناها في هذا الكتاب تُعَدُّ الأسس الأولية، إذا أسعفنا الوقت وتوفرت الصحة، فربما سنكتشف المزيد الذي يميز – المسرح الحسيني – عن غيره، خاصة إذا وجدنا حاجة إلى ذلك

..ونأمل من الأجيال الشابة الحالية الواعدة والمخلصة لهذا النهج المبارك أن تواصل جهودها وتعمق إبداعاتها من أجل ذلك ..وكذلك نريد أن يطمئن كل من يقرأ هذه السطور – بأنَّ الغالبية العظمى من نتاجات مبدعينا – وفي المسرح الحسيني تحديداً – كانت قد كتبت في زمن الطغيان والخوف والإستبداد ..ومنها أعمالنا المسرحية ..وأن عدم توفر الفرصة في الزمن المقبور لإظهار مثل هذه الأعمال وتجسيدها على – المسرح – لا يعني موت هذه الفعاليات أو إندثارها ..ومع ذلك فأنَّ إحدى مسرحياتنا وهي – صوت الحر الرياحي – كانت قد قدمت في عام ١٩٩٨م وبموافقة من لجنة المسرح العراقي ...، حيث حققت النجاح الباهر المنقطع النظير وصحيح أيضاً أن السلطات القمعية في وقتها حاولت وضع العراقيل أمام استمرارية العرض ..وبرغم الموافقة الظاهرية إلا أن العرض أدى دوره المطلوب وحقق غاياته المنشودة حيث ألتفت حوله الجماهير وطالبتنا بتقديم المزيد مثل هكذا أعمال رسالية.

إذن ..الزبدُ يذهبُ جفاءً وما ينفع الناس يمكث في الأرض ...وإن دلَّ ذلك على شيء إنما يدل على أن الشعوب لا يمكن أن تتخلى عن طقوسها المبجلة مهما تعرضت إلى ألوان من القهر .

..بل أن العكس هو الذي حصل ..حيث تسلحت الجماهير بمزيد من الوعي وطالبت المبدعين الرساليين بتقديم هذا النموذج إلى العالم بأسره وبأرقى صورة ممكنة – إذن لكل فعل رد فعل كما هو معروف ..فإذا كانت هذه هي نوعية أعمالنا في ذلك الزمن فلنتصور معاً كيف يجب أن تكون الآن، بعد بزوغ فجر الحرية ؟ !

إننا بالتأكيد سوف لن نفوت مثل هذه الفرصة التاريخية ..برغم تكالب الأعداء علينا ..إن علينا جميعاً مسؤولية مشتركة وخطيرة، لا بدَّ لنا أن نبثّ ونعمق مبادئ الأخلاق النبيلة والسامية في المجتمع إذا أردنا أن نحافظ عليه سليماً معافى ! أن الفكر الخلاق هو مفتاح رقي الشعوب، نحن نراهن على ذلك ..والأعداء يراهنون على الضد.

نحن نبشر بمبادئ المدرسة الحسينية المحمدية المباركة، والأعداء ينشرون سمومهم وأفكارهم الهدامة من خلال التحريف والتشويه الذي يسعون إليه، لكي يتهموا الإسلام بالتعصب والتخلف والإرهاب والوحشية ..فهل حقاً كان هكذا منهاج رسول الله محمدﷺ ؟ وهل كانت قيم السماء تؤمن بالقتل والعدوان والظلم ؟ أيُّ دينٍ رسالي يؤمن بذلك ؟ إذن لابدَّ أن نوقف جميع أشكال التحريف والتشويه التي يتعرض لها الإسلام العظيم ..وأن الملحمة الحسينية الخالدة بما تتوفر عليه من معانٍ إنسانية نبيلة، هي الأكثر تأهيلاً لنقدمها إلى العالم من خلال مسرح متخصص يتوفر على طقوسه الخاصة ويتفاعل مع الفكر العالمي الحضاري الخلاق وبأسلوب واقعي إبداعي يتوفر على شروطه الفنية المتخصصة إضافة إلى شـروطه الفكرية...

لقد صممنا على ان تنطلق مثل هذه الفعاليات الجادة الرائدة من كربلاء تحديداً كونها مدينة العلماء والمفكرين والأدباء والفنانين والمبدعين ..وكونها مدينة سيد الشهداء الإمام الحسين ..وعندما تكون المبادرة من كربلاء فهذا له معناه ومغزاه الكبير – وأيضاً له

نكهته الخاصة – ولنثبت دائماً ..على أن الواقع المعاش بخير، طالما كان الجوهر يضخُّ معينه الذي لا ينضب ..وأن الرياح الصفر لابدَّ لها أن تندحر وتشرق شمس الحرية والعدالة والمحبة لتسود هذا العالم وإلى الأبدَّ.

لذلك لابُدَّ لنا أن نثبت في هذه الخاتمة ملاحظات نراها مهمة ..حتى وأن كنّا قد قلناها في هذا الكتاب ولكننا نرى تكرارها والتأكيد عليها مفيد جداً ومنها : -

أولاً:

في بحثنا عن أمكانية قيام مسرح حقيقي أسميناه **(المسرح الحسيني)** كنّا ومنذ البدء نعتمد على أسلوب ومنهجية الصراع الذي قاده الإمام الحسين بن علي عليهما السلام ضد طغيان الدولة الأموية في زمن **(يزيد بن معاوية بن أبي سفيان)**، حيث أنطلق ذلك الأسلوب الفذّ من عقيدة الإمام الحسين المحمدية الخالصة والتي تنطلق من الإخلاص المطلق لدين الله بدون قيد أو شرط، كما كان يفعل دائماً الإمام علي ﷺ منذ بدء الرسالة الإسلامية، هذا التفاني والإخلاص المنقطع النظير الناهض من الإيمان الحقيقي المطلق بالرسالة الإسلامية والذي لا يتوفر عليه إلاّ مَنْ هم بدرجة أنبياء أو أولياء يتميزون بمواصفات خاصة متفردة هو الذي أوقد عندنا الشعلة أو الشرارة الأولى لإمكانية قيام هكذا أداء رسالي حضاري يتوفر على حيويته وتأثيره المدهش على خشبة المسرح، وكذلك في الحياة اليومية إذا أتخذ هكذا نمط من السلوك كمنهاج حياتي شامل ...ولكي نوصل هذه الأفكار والأساليب الخلاقة إلى مجتمعاتنا العربية والإسلامية، إخترنا أن تكون أدوات التوصيل هي هذه الوسيلة لتحقيق هذا الهدف النبيل ...أما الجوانب الأخرى أو العوامل الأخرى ..الفنية منها أو تلك التي تعتمد على شكل وأسلوب الطقوس التي تؤدى بها تفاصيل الواقعة التي حدثت في العاشر من محرم عام ٦١هجرية بين الإمام

الحسين ﷺ وأهل بيته وأصحابه وبين الجيش الأموي – فإننا وبرغم هذا الجانب إلاّ إننا لا نعوِّل عليه كثيراً في هذه الدراسة النظرية ..لأن ذلك من اختصاص الجانب الفني، ولأن الطقوس قابلة للتغيير باستمرار ..إذن ستكون الأساليب الفنية هي الأخرى قابلة للتغيير بتغير الظروف المحيطة بها وبظهور المستجدات الاجتماعية المستمرة ومع كل ذلك فإننا أشرنا إلى هذه المسألة بشكل سريع وغير معمق ..كذلك نحن ندرك تماماً إنَّ ! الجانب الفني – في المسرح الحسيني – يأخذ دائماً بالنظرة الواقعية والمناسبة لهكذا أعمال لكونه يتوفر أيضاً على مرجعيات خاصة بتطورات القضية الحسينية عبر العصور وبالأشواط الذي بلغه الصراع فيها والذي ما زال مستمراً إلى الوقت الحاضر.

إنَّ جانب الطقوس وتطورات الأداء الجماهيري العفوي الذي يجسد في عاشوراء الحسين ﷺ والذي نشاهده في مختلف المدن الإسلامية، إبتداءً من كربلاء المقدسة وإلى آخر بقعة في العالم هذه الطقوس لا يمكن أن تؤثر تأثيراً حاسماً ومباشراً على هكذا دراسة، وعلى هكذا مسرح ندعو إليه ونبشر به، لأن حساباتنا علمية ونظرتنا واقعية ورؤانا واعية وخلاقة وقد تختلف بعض الشيء مع السائد والمألوف.

ولأننا – وهذا هو الأهم، نريد نشر هذه المبادئ السامية إلى أقصى بقعة في الأرض.

إنَّ تعميق هذه التجربة يتطلب التركيز على الجانب النظري العقائدي والفلسفي في هذه الدراسة أما التطبيقات فأنَّ لكل مخرجٍ نظرته الخاصة في الحياة ومدرسته الخاصة أيضاً والذي يرى من خلالها ما هو الأنسب والأكثر تأثيراً نقول كل هذا – لأننا قرأنا مؤخراً بعض الدراسات في هذا المجال – فوجدناها – مع الأسف – تعوِّل على جانب الطقوس والمثيولوجيا كأسلوب فقط مثل ما كتب عن مسرح التعزية ..أو مثيولوجيا كربلاء ..وغيرها، حيث وجدناها تفتقر إلى الكثير من الحقائق وفي مقدمتها – الجانب العقائدي

وكيفية طرحه المؤثر ..وكذلك أحسسنا بالإحباط عند هؤلاء الكتاب وهم ينظرون إلى مستقبل هكذا (مسرح) بروح تشاؤمية مندحرة وهم لا يعلمون أن أغلب كتاباتنا الخلاقة إنما أنجزت في زمن الطغيان والظلم والقهر وأن أبناء هذا – المذهب الإنساني المبارك ..هم مبدعون حقيقيون أينما تواجدوا وإنَّ إبداعهم هو من طراز خاص وقد أثبتوا ذلك من خلال إنجازاتهم الإبداعية الفكرية والأدبية وفي جميع بقاع العالم وأنَّ هذه الإنجازات لم تكن تتوفر لولا الروح الوثابة والحيوية والنظرة التفاؤلية للحياة الحاضرة والمستقبلية التي توفر عليها هؤلاء المبدعون الأصلاء، برغم تصديهم لكل ضغوطات الحياة من نفي وإبعاد وإضطهاد داخل أوطانهم وخارجها ..وهذه المخاضات أنتجت أدباً وفكراً خالداً، إذن لا يصح أن ينظر إلى الحياة نظرة تشاؤمية أحادية ضيقة، خاصة بعد بزوغ الفجر الجديد في العراق والذي سيترك بصماته على دول المنطقة بكل حيوية ووضوح عاجلاً أم آجلاً، برغم جميع محاولات التخريب الثقافي المتعمد ..لأن المبدع العراقي منذ الأزل كان خلاقاً.

ثانياً:

هناك خطأٌ شائع مفاده ..أنَّ الكثير من الممثلين والمخرجين يتجنبون تمثيل النصوص المسرحية ذات الطابع الشعري أو التي تتوفر جميعها على الأسلوب الشعري.

نقول : برغم وجود هذه الظاهرة عند بعض الممثلين والمخرجين، إلاّ إننا نعزي سبب هذا العزوف - إلى عدم توفر الكثير من الكتابات في المسرح الشعري – على شروط نجاح هكذا كتابات – وكما قال المثل العربي القديم : **(لكل مقام مقال)**، فأنَّ هذا المثل ينطبق أيضاً في مجال المسرح الشعري وفي جميع مجالات الكتابة الإبداعية الأدبية والفنية.

إنَّ على كاتب النص المسرحي أن يعرف إبتداء ما هي الموضوعات التي يمكن أن ينجزها بنجاح في هذا المضمار **..**حيث عليه أن يعرف ما هي الموضوعات التي تنسجم مع اللغة العربية الفصحى والأخرى التي تكون منسجمة مع اللهجة العامية **..**

كذلك ما هي مواصفات المسرحية الشعرية **..**وما مدى توفر الكاتب على آليات مثل هكذا كتابة، وما هي عوامل النجاح ؟

إنَّ على الكاتب المبدع الملتزم أن يعرف – قبل كل شيء – خطورة عمله، وأهميته وجدواه، فإذا أحس بأنه يستطيع أن يضيف ويثري الفكر الذي يؤمن به حقاً، فأن عليه أن يبادر ويبدأ في إنجاز مشروعه الإبداعي الخلاق**.**

لقد سبق وأن تطرقنا إلى ذلك في فصول هذا الكتاب **...**لكننا نريد هنا أن نؤكد على نقطة أخرى ونضيفها إلى سابقاتها وتلك هي مسألة – كيفية الإختيار الأنسب للموضوع – موضوع الكتابة، ومدى انسجام الشكل المناسب مع الموضوع المناسب، سواء أكان ذلك من ناحية الأسلوب في اللغة ومدى فاعليتها، وإن كانت اللغة معاصرة أو كلاسيكية، وكيفية توظيف اللغة المعاصرة في موضوع كلاسيكي **..**وما هو البحر الشعري الذي ينسجم مع موضوع العمل المسرحي **..**وهل من الأفضل أنْ تتنوع بحور الشعر في حوارات المسرحية أم يجب على المؤلف أن يركز على استخدام بحر يراه هو الأنسب لمجمل العمل **..**أو حسب تنوع الحالات**.**

إنَّ مثل هذه الأسئلة ضرورية للكاتب، وعليه أن يبادر ويطرحها هو على نفسه، قبل الشروع في الكتابة **..**وعليه أن يواجه إمكانياته الحقيقية مواجهة صارمة حتى يضمن الحد الأدنى من النجاح، لكي لا تضيع جهوده سدى**!**

إننا هنا لا نريد زرع روح الإحباط عند كتّابنا، شبابهم وشيوخهم ..لكننا وجدنا في الآونة الأخيرة استسهال بعض الشعراء في إنجاز كتابات في المسرح الشعري ..هذا النوع من الكتابة الذي يعدُّ من أصعب أنواع الكتابات الأدبية على الإطلاق حيث لا يتجاوز عدد الكتاب في عموم الوطن العربي، عدد الأصابع – وعلى الرغم من إننا لسنا أوصياء على أحد وأن لكل مبدع له حق في أن يجرب وفي أي نوع من أنواع الكتابة الإبداعية – لأن ذلك سينعكس عليه مباشرة ...لكننا نريد ونأمل من كل شاعر أن يبدأ البداية الصحيحة والفاعلة وهو يشتغل في هكذا مجال، حيث عليه أن يعرف على أية أرضية يقف ..لأن المكابرة مصيرها الفشل، ولنا من الأمثلة ما لا يعد ولا يحصى !! ..وأن كل تلك المحاولات تعدُّ جهداً ضائعاً، إذن نحن وبدافع الحرص والمحبة، نطالب بالتريث حتى تكون الثمار ناضجة.

كما أن على الشاعر الذي يريد الخوض في مثل هذه التجربة، أن يقرأ لمن سبقه حتى لا يقع في مصيدة التكرار والتقليد المقصود أو غير المقصود...

وأن يتوفر الكاتب على رؤية إبداعية فنية، أثناء الكتابة فعلية، أن يعرف شروط الكتابة المسرحية الدرامية، وجوهر حركة المسرح وفاعليتها ..أي أنَّ على الكاتب أن يستوعب جميع جوانب العملية بشقيها، الأدبي والفني فقد قرأنا عدداً من المسرحيات، كانت أقرب إلى الشعر المسرحي منها إلى المسرح الشعري، برغم توفرها على نمط عال من الشعرية، لكنها لم تكن تتوفر على الجانب الدرامي وهو الأهم – في المسرح الشعري.

إننا نؤمن بأن النص الأدبي في المسرح الشعري، حتى وأن كان يتوفر على جميع مستلزمات وشروط الكتابة الأدبية ...لكن لابدَّ له أن ينجح في جانبه الفني لحظة تقديمه على خشبة المسرح ..برغم استمتاعنا ونحن نقرأ مثل هذه النصوص.

ونريد هنا قبل أن نختم هذه السطور أن نطرح السؤال الآتي : - لماذا حفظ أطفال المدينة الأناشيد التي كانت في مسرحية – صوت الحر الرياحي – عندما قدمت عام ١٩٩٨م وأخذوا يرددونها في الشوارع والمدارس في حين كنّا قد كتبنا هذه المسرحية للكبار فقط ! ولم نحسب حساب الأطفال ؟؟!

لا نريد الإجابة، ونتركها لكل من يقرأ مسرحية – صوت الحر الرياحي – ليتأكد من صحة مزاعمنا وحقيقة إدعاءاتنا وصدق نوايانا....وهذا مثال واحد يتوفر في جميع أعمالنا المسرحية في المسرح الحسيني.

ثالثاً:

من الطقوس المسرحية القديمة، أسلوب استخدام الجوقات الإنشادية التي تؤدي أناشيدها على شكل تراتيل، حيث ظهر هذا الأسلوب مع بدايات المسرح الإغريقي الديني ..إنَّ النغمات المرتلة كانت تنطلق بصدق وصفاء من حناجر المؤدين لأنهم كانوا يناجون الآلهة ويتضرعون إليها، لتستجيب إلى مطالبهم أو لتنقذهم من كوارث الطبيعة الكثيرة ..فكان الجو القدسي المفعم بالحالات الروحانية الخالصة المتوفرة على الخشوع والإحترام التام تقترب بطابعها من الحزن النبيل الذي يجسده الترتيل البطيء والهادئ نوعاً ما بحيث يكون اقرب على الأداء الأوبرالي الذي تنفذه حالياً غالبية الفرق السمفونية الغربية.

لقد استمرت هذه الطقوس في الأداء المسرحي عبر العصور برغم التطورات الهائلة التي حصلت في بنية المجتمعات وبخاصة في المسرح الديني الرسالي حيث العلاقة المباشرة مع الخالق العظيم.إضافة إلى ذلك أنَّ الطقوس المؤداة في الكنائس المسيحية، تتوفر على اسلوب الجوقات القديم نفسه في الترتيل، لتوفره على جوانب روحانية ذات تأثير مباشر على الحاضرين ..لذلك ليس غريباً أن يتوفر مثل هذا الأسلوب ومثل هذه الطقوس في

الملحمة الحسينية الخالدة لأن جوهر الأديان السماوية واحد.وهذا ما نراه ملموساً في جوقات المواكب الحسينية التي تؤدي مراسيم الولاء لسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام في الأيام العشرة الأولى من شهر محرم من كل عام، في داخل مدينة كربلاء حيث تمثل تلك المواكب والجوقات أبناء المجتمع الكربلائي بجميع شرائحه الاجتماعية، أو تلك المواكب التي تاتي في أربعينية الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر من كل عام لتجدد عهد الوفاء والولاء أيضاً لسيد الشهداء، من جميع المحافظات العراقية ومن بعض البلدان العربية والإسلامية.

إنَّ أسلوب استخدام الجوقات المرتلة، أسلوب مسرحي أصيل وجد منذ بداية ولادة المسرح العالمي وما يزال قائماً لحد الآن ..وأنَّ نكهة التراتيل الروحانية ما تزال تحمل طابع الحزن والخشوع والإحترام التام لتعاليم السماء حيث تنسجم مفردات الخطاب الديني المتوفر على السمو والنبل والتجلي مع روحانية التراتيل ذات النبرات الحزينة المفعمة بجو الخشوع والتقرب إلى الخالق جلت عظمته.

إنَّ ما نسميه اليوم بالأطوار الحسينية – الناهضة من روحية النهضة الحسينية، هي الإمتداد أو التطور الطبيعي لأسلوب الجوقات الإغريقي الديني ..وهذا يؤكد أصالة هذا الأسلوب كونه أسلوباً مسرحياً، وكذلك يجعلنا نؤمن بدرجة كبيرة بأن الوسيلة المسرحية في التعاطي مع المجتمع من الوسائل المباركة التي يمكن بها أن نبشر وننشر تعاليم السماء الحقة !

ولما كانت غالبية المجتمع العراقي تدين بمذهب آل البيت الأطهار، فأن طابع الحزن تجلى في طقوسها الاجتماعية كونها ارتبطت مصيرياً بالقضية الحسينية وتحملت نتائجها المريرة عبر الأجيال وما زالت ثابتة وصامدة في مواقفها الولائية لآل البيت الأطهار عليهم السلام وبالتالي فان هذه الروحية الحزينة في الأطوار الحسينية وفي عموم تفاصيلها

اليومية أصبحت قدراً مألوفاً لا مفر منه.إلاّ أن مسرحنا الحسيني – يدعو الآن – في زمن النهوض الحسيني، الرساليين المبدعين كافة إلى ابتكار أطوار تحافظ على جوهر القضية الحسينية وروحيتها الأصيلة ومعانيها السامية التي أستشهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام وتجسيدها في أطوار جديدة تنسجم مع روحية العصر الجديد أيضاً بحيث تبعد عنها روح التشاؤم غير المبرر وتخلصها من كل دخيل طارئ لا ينسجم مع المبادئ السامية، وإسقاط جميع أنواع المبالغات والتهويل في الأداء الطقوسي وفي المعنى بحيث نصل بهذه الأطوار إلى أشبه ما يكون بلغة عالمية مشتركة من خلال – النغم الفعال، كما هو الحال في الموسيقى العالمية – مع الفارق بالتأكيد.إننا نعي ما نطلبه من فنانينا المبدعين وندرك صعوبة هذا الإنجاز ..ولكنه ليس مستحيل التحقيق ..ولكن مشروعية طلبنا هذا تنهض في ضرورة إستكمال مستلزماتنا الفنية في بناء مسرح حسيني عالمي.

لذلك نحن الآن ندعو إلى إبتكار وخلق أطوار حسينية تجسد حقيقته الروحية التي توفر عليها سيد الشهداء وهو يدافع عن قيم ومبادئ الحق والعدل الإلهي من اجل سعادة الإنسان والارتقاء به في جميع مجالات الحياة ..وبخاصة في هذه المرحلة الحاسمة من حياتنا وفي هذا المنعطف الخطير حيث نحتاج إلى استنهاض كل القيم والمبادئ الخلاقة لملئ الفراغ الفكري والإخلاقي الكبير الذي يعصف بمجتمعنا الحالي غير المستقر.

رابعاً:

لما كنّا ندعو إلى نشر مبادئ – المسرح الحسيني – عالمياً علينا منذ البدء أن ننتبه جيداً إلى كيفية وصول هذه المبادئ إلى الشعوب الأخرى ؟!

ولما كانت الشعرية هي من مقومات هذا المسرح، لذلك ستكون مهمتنا أكثر صعوبة في ترجمة هكذا أعمال ..فترجمة النص المسرحي الشعري، ليست عملية سهلة كما

قد يتبادر إلى أذهان بعضهم ..سواء أكان ذلك النص مترجماً من اللغة الأجنبية إلى العربية أم بالعكس ..فكم قرأنا من ترجمات بالعربية لأعمال أدبية انكليزية أو فرنسية أو أسبانية ..ولم نتواصل معها، كون أن الترجمة كانت ضعيفة ..أو أنَّ المترجم لم يكن يتوفر بشكل شامل على مفردات اللغة الأخرى ..

ثم أنَّ العملية هي ليست معرفة مفردات أو إلمام باللغة الأخرى فقط وبخاصة في حالة النص الشعري ..

إنَّ على المترجم المبدع، أن يكون متوفراً على حس وذائقة أدبية رفيعة المستوى أو أن يكون المترجم فناناً أو شاعراً أو ناقداً متخصصاً بالنقد الأدبي كمن هم على شاكلة المبدع العبقري الكبير، خالد الذكر، المرحوم جبرا إبراهيم جبرا .

إنَّ وجود هكذا مبدع ليكون مترجماً وليقدم لنا روائع الأدب العالمي متمثلة في أعمال الكاتب المسرحي العبقري وليم شكسبير، عملة نادرة ..لكنها ليست مستحيلة التكرار وبالتأكيد فأنَّ هناك من المبدعين العرب من طراز جبرا إبراهيم جبرا ..

ثم أنَّ لغتنا العربية ..لغة حية آهلة بالحيوية وليس من السهل على شخص أجنبي مهما كانت درجة ذكائه أنَّ يلمَّ إلماماً شاملاً بجميع جوانبها، من مفردات واشتقاقات إلاّ بعد مضي سنوات طويلة من الدراسة والبحث المتواصل، وكذلك يجب أن يتوفر على ملكة الشعر وإحساس مرهف بحالاته وتأويلاته وعوالمه اللانهائية.

إذن نحن هنا نغامر بالتأكيد إذا أعطينا نتاجاتنا الأدبية ذات الطابع الفكري العقائدي، إلى مترجم أجنبي لكي يترجم أعمالنا إلى لغته، لمجرد معرفتنا بأنه يتكلم اللغة العربية أو أنه من الكتاب المستشرقين ..! وبرغم أنَّ هذه الكلمة **(المستشرقين)** تولد حساسية خاصة، إلاّ إنني سأترك البحث فيها الآن، لأعود وأؤكد على ضرورة وجود مترجم مبدع عربي،

متمكن من الإنكليزية مثلاً، عندما نريد أن نترجم أعمالنا في المسرح الحسيني إلى اللغة الإنكليزية ..ومثل هذا المترجم المبدع والأديب العقائدي بالتأكيد موجود ..وبخاصة في هذا العصر، حيث هاجر الملايين إلى البلدان الأجنبية لأسباب مختلفة، وبدأت بعد سنوات تظهر إبداعاتهم الأدبية هناك حيث حصلوا على جوائز أدبية مهمة وهم في الغربة، حيث أنجزوا إبداعات مهمة في مجالات الفكر والأدب والفن بلغتهم الأم أو بلغة الوطن الذي يعيشون فيه وهم غرباء ..والقائمة طويلة في هذا المجال وأسماء المبدعين الغرب معروفة أيضاً وفي جميع مجالات الإبداع.وإنْ دلَّ هذا على شيء فإنما يدلُّ على مستوى الذكاء والتألق الذي وصل إليه المبدع العربي.كما يدلُّ على عظمة لغتنا التي تُعَدُّ من اللغات الحية الصعبة ..في حين أنَّ غالبية اللغات الأجنبية أسهل بكثير من لغتنا العربية.

إنَّ المساحات اللانهائية من الرؤى والدلالات التي تتوفر عليها مفردات اللغة العربية وكثرت اشتقاقاتها ..ومقدرتها على التكييف مع متغيرات العصر. ومتطلباته، تجعل المبدع العربي أكثر خصوبة من أقرانه من الأجانب، بشكل عام، لأن المبدع العربي كثير الإطلاع والقراءة ومتواصل مع ثقافات الشعوب وبخاصة في السنوات الأخيرة، وبعد دخول الأنترنت – إلى الحياة اليومية ..وهذا يلاحظ بشكل ملفت عند عقد المؤتمرات الدولية الأدبية أو الفكرية ..حيث نرى المثقف العربي أكثر معرفة من المثقف الأجنبي، في حين نرى الأدباء الأجانب لا يتوفرون على الحد الأدنى من منظومتنا المعرفية إلاّ ما ندر !! وهذا وحده يكفي لأن نضع إنجازاتنا الإبداعية في حالة الترجمة – بأيدي مبدعينا العرب المتمكنين حقاً من إيصالها بكل فاعلية وحيوية إلى اللغات الأجنبية المراد نشرها فيها ..فأنَّ هذه الخطوة ستحقق لنا الكثير من المزايا وستجنبنا الكثير من الإشكاليات وتبعدنا على الأقل من خطورة التحريف والتشويه، حيث حصل هذا التحريف أو التقصير المتعمد أو غير المتعمد على أيدي الكثير من الكتّاب المستشرقين!!

الفهرس

تمهيد..... ٣
المقدمة..... ٩
المدخل ١٣
القسم الأول/ نظرية المسرح الحسيني ١٧
ما هي نظرتنا إلى الإمام الحسين عليه السلام ١٩
لماذا المسرح الحسيني؟..... ٢٢
الشعرية في النص المسرحي ٢٧
العلاقة بين الجمالي والخلقي في النص الإبداعي ٣١
إشكالية الإختزال في النص الشعري..... ٣٨
تركيبة الجملة الشعرية في النص المسرحي..... ٤٢
طقوس المسرح الحسيني..... ٤٧
القسم الثاني/ نماذج من بعض النصوص المسرحية..... ٥١
المشهد الأول من مسرحية(سِفر النور)مسلم بن عقيل..... ٥٨
المشهد الأول من مسرحية (صوت الحر الرياحي)..... ٦٤
المشهد الثمن من مسرحية (سِفر الحوراء زينب عليها السلام)..... ٦٩
الخاتمة ٨٧
الفهرس..... ١٠٣